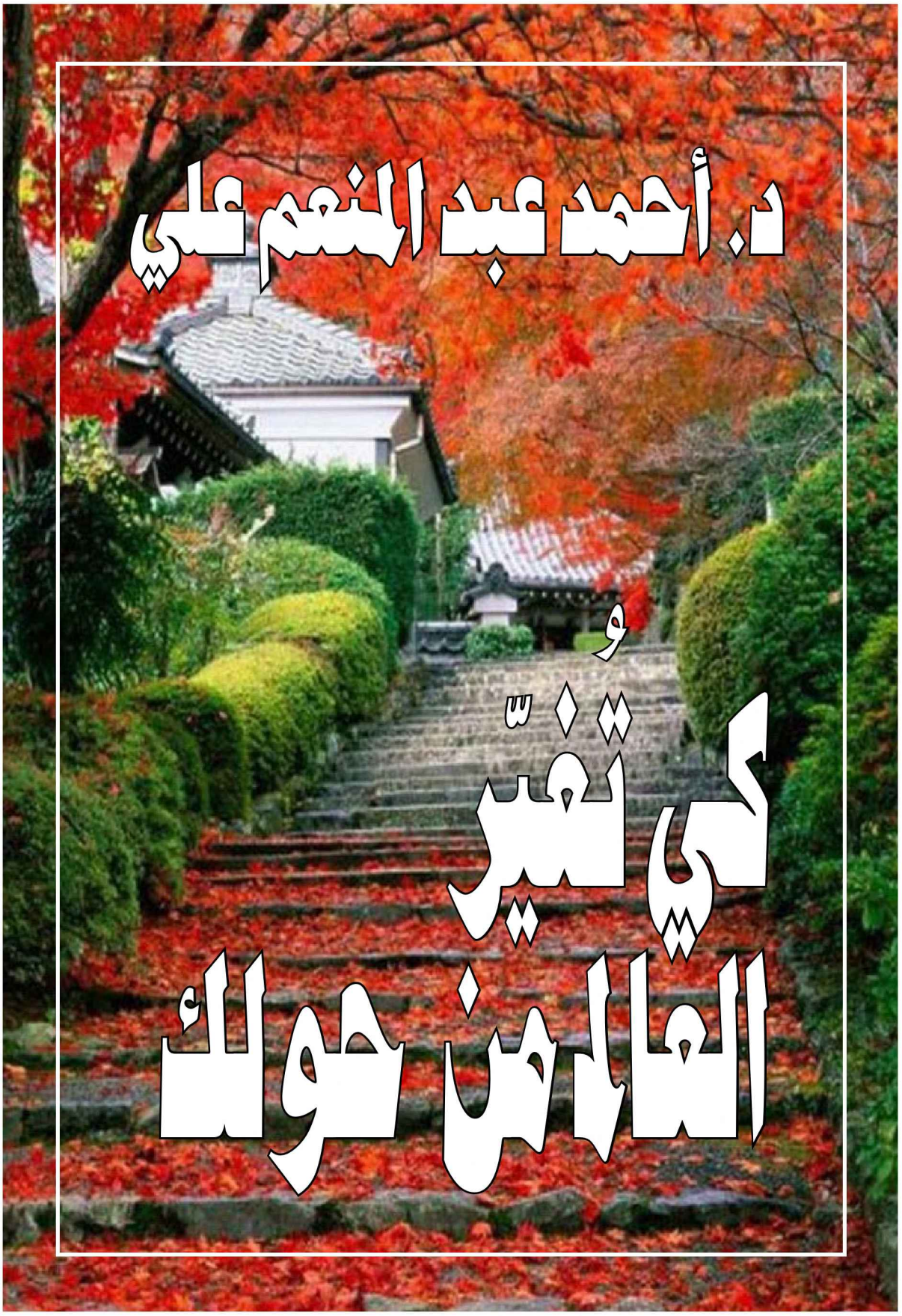

Digitized by Google

To Change the World Around You
By**: Dr. Ahmed abdulMunem Ali**
Copyright E-kutub Ltd 2011
Published by E-Kutub.com
ISNB: **9781780580302**
Google e-book Edition
* * * * *
PUBLISHED BY:
e-kutub.com on www.e-kutub.com & Google Books
License Notes
This e-book is licensed for your personal enjoyment only. This e-book may not be re-sold or given away to other people. If you would like to share this book with another person، please purchase an additional copy for each person you share it with. If you're reading this book and did not purchase it، or it was not purchased for your use only، then you should return to e-kutub.com and purchase your own copy. Thank you for respecting the author's work.
* * * * *
الطبعة الألكترونية الأولى
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
مرخصة فقط للإستخدام الألكتروني، لا تجوز طباعة أي جزء من هذا الكتاب على ورق.
كما لا يجوز الاقتباس من دون الإشارة الى المصدر.
الكتاب يوزع مجانا، هبة من المؤلف
* * * * *

Digitized by Google

كي تُغيّر العالم من حولك

دكتور
أحمد عبد المنعم علي

Digitized by Google

المؤلف

د. أحمد عبدالمنعم علي

- بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة الأزهر مع مرتبة الشرف
- ماجستير في الأمراض الصدرية من جامعة الأزهر
- دبلوم التخصص في الأمراض الباطنة من جامعة عين شمس
- دبلوم التخصص في أمراض القلب من جامعة عين شمس
- زمالة الكلية الملكية في الأمراض الباطنة من أيرلندا
- زمالة كلية الجراحين الملكية في طب الطواريء من المملكة المتحدة
- **ليسانس كلية الدعوة الإسلامية من جامعة الأزهر**

عمل مدرسا مساعدا بكلية الطب جامعة الأزهر, ثم أخصائيا ثم استشاريا بطب الطواريء بالمملكة العربية السعودية واستراليا ودولة الإمارات العربية المتحدة.

Digitized by Google

نحن هنا لإضافة ما في وسعنا للحياة، لا للحصول على ما يمكننا منها.
وليام أوسْلر (1849-1919)

We are here to add what we can to life, not to get what we can from life.
William Osler (1849-1919)

إهداء

إلى أولئك الذين جعلهم الله مفاتيح للخير مغاليق للشر.. فبذلوا الخير وصنعوا المعروف

إلى الزميل العزيز الدكتور/ منصور الأمين .. الذي شاركني فكرة هذا الكتاب

إلى أول قاريء، وأول ناقد لما أكتب .. أسرتي

Digitized by Google

المحتويات

مقدمة الكتاب 7

آياتٌ بيّناتٌ في صناعة المعروف 11

اصْنع معروفاً .. كلَّ يوم 27

مظاهر صُنع المعروف

بذل المال 34

بذل العلم 46

بذل الجاه 50

حسن الخلق 54

نصبحة 64

طلاقة الوجه (ابتسامة) 69

كف الأذى 72

سَدِّد المعروفَ إلى ثلاثةٍ آخرين! 79

عوائق صنع المعروف 88

كان لي صديق شغوف..بأعمال البر وصنع المعروف 98

حكم وأقوال .. وعبر وأمثال 111

Digitized by Google

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه اجمعين.

أما بعد ....

فهل حلمت يوماً أن تشارك في تغيير العالم من حولك إلى الأفضل؟

لابد أن يكون هذا الخاطر قد دار بخلد كل عاقل يوماً ما، ومن لم يخطر بباله هذا السؤال فهو في مأزق حقيقي! فعلى العاقل- كما قيل- أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلاً على شأنه، مهتماً بأمور أمته.

ليس بالضرورة أن يكون الواحد منا فقيهاً مُحدّثاً في العلوم الشرعية، أو عالماً فذاً في العلوم الإنسانية، او أستاذاً رائداً في العلوم الطبيعية، أو سياسياً محنكاً، يتابع دبيب النملة في العلاقات الدولية، أو خطيباً بارعاً مُفوهاً، يجيد فنون الكلام، ويسلب الألباب بأحاديثه المؤثّرة النارية حتى يغير العالم من حوله.

Digitized by Google

إن الأمر أهون من هذا بكثير؛ يحتاج الإنسان لكي يغير العالم من حوله أن ينشر الخير ويبذل البر ويصنع المعروف.

نعم .. صنع المعروف- ولا شيء غيره- يمكن أن يغير العالم إلى الأفضل، فصنع المعروف بعمل صالح، أوعلم نافع، أو حتى بكلمة طيبة.. ينشر الخير، ويشيع المحبة، ويشبع الجائع، ويغيث الملهوف، وينصر المظلوم، ويدخل السرور على القلوب.

ولم أرَ كالمعروفِ، أما مذاقه فحلوٌ وأما وجهه فجميلُ

في كتابه القيم "هكذا علمتني الحياة" يقول الدكتور مصطفى السباعي: (للخير طريقان: بذل المعروف أو نيّته، ومن لم يكن له نصيب في هذا ولا ذاك فهو أرض بوار.)

هذا الكتاب سوف يبين لك كيف أن صنع المعروف يمكن أن يغير العالم من حولك، بل ومن داخلك أيضاً إلى الأفضل؛ أما من داخلك فبذلك الإحساس الرائع من الطمأنينة ورضا النفس، الذي يستشعره باذلوا الخير وصانعوا المعروف، وأمّا من حولك فسيتضح لك ذلك بعد قليل.

هذا الكتاب يبين لك من خلال عدة محاور كيف يمكن لصنع المعروف أن يغير العالم من حولنا، كما يبين لك كثرة طرق الخير وأبواب البرّ، وكلٌ ميسرٌ لما خُلق له.

Digitized by Google

فـــإذا رُزقـــتَ خليقةً محمودةً فقدْ اصطفاكَ مُقسمُ الأرزاقِ

فالناسُ هذا حظهُ مالٌ وذا علمٌ وذاكَ مكارمُ الأخلاق

كما يأتي على ذكر العوائق التي تتردد في أفئدة الكثيرين تمنعهم من صنع المعروف وتَصرفهم عن أدائه، كما يبين لك الآداب التي يجب أن يتحلى بها كلٌ من صانع المعروف والمصنوع له، ثم نأتي على ذكر بعض من رأيتهم في حياتي عَلماً في هذا المجال، أما الفصل الأخير فيبرهن لك على أن صنع المعروف هو مطلبٌ إنساني عام.

والله من وراء القصد.

د/ أحمد عبد المنعم علي
drahmed11@hotmail.com

Digitized by Google

آياتٌ بيّناتٌ في صناعة المعروف

Digitized by Google

آياتٌ بيّناتٌ في صناعة المعروف

جاءت كثير من آيات القرآن الكريم تحث على صنع المعروف، سواء كان ذلك على وجه الإجمال، كالأمر بفعل الخيرات أو المسابقة إلى أداء المعروف، أو جاء مفصلاً كالحث على الإطعام والإنفاق وإيتاء ذوي القربى.

وكما هو ملاحظ في آيات القرآن الكريم، فإن الإيمان لا يُذكر إلا ويأتي غالباً بعده- أو أحيانا ًقبله- العمل الصالح، فهذا شِق عقدي وذاك شق عملي، وعلي المسلم أن يتحلى بالاثنين معاً.

من الآيات التي جاء فيها العمل الصالح بعد الإيمان قوله تعالى:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82)}[1]

{وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً (88)}[2]

وقد يأتي العمل الصالح أولاً، كقوله سبحانه:

---

[1] سورة البقرة

[2] سورة الكهف

Digitized by Google

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (124)}[3]

{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)}[4]

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94)}[5]

نعرض الآن لبعض الآيات التي تحث على صنع المعروف وفعل الخيرات، وهي كثيرة ومتنوعة ومبسوطة في كثير من سور القرآن الكريم، ثم نتبعها بمعاني الآيات حتى تعم الفائدة ويثبت المعنى.

قال سبحانه وتعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩(77) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا

[3] سورة النساء

[4] سورة النحل

[5] سورة الأنبياء

Digitized by Google

الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)}[6]

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) اركعوا واسجدوا في صلاتكم، واعبدوا ربكم وحده لا شريك له, وافعلوا الخير; لتفلحوا، وجاهدوا أنفسكم، وقوموا قيامًا تامًّا بأمر الله، وادعوا الخلق إلى سبيله، وجاهدوا بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم, مخلصين فيه النية لله عز وجل، مسلمين له قلوبكم وجوارحكم، هو اصطفاكم لحمل هذا الدين، وقد منَّ عليكم بأن جعل شريعتكم سمحة, ليس فيها تضييق ولا تشديد في تكاليفها وأحكامها, كما كان في بعض الأمم قبلكم, هذه الملة السمحة هي ملة أبيكم إبراهيم، وقد سَمَّاكم الله المسلمين مِن قبلُ في الكتب المنزلة السابقة, وفي هذا القرآن، وقد اختصَّكم بهذا الاختيار ; ليكون خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم شاهدًا عليكم بأنه بلَّغكم رسالة ربه, وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلَّغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فعليكم أن تعرفوا لهذه النعمة قدرها، فتشكروها, وتحافظوا على معالم دين الله بأداء الصلاة بأركانها وشروطها, وإخراج الزكاة المفروضة, وأن تلجأوا إلى الله سبحانه وتعالى, وتتوكلوا عليه, فهو نِعْمَ المولى لمن تولاه, ونعم النصير لمن استنصره.

---

[6] سورة الحج

Digitized by Google

{لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (114)}[7]

لا نفع في كثير من كلام الناس سرّاً فيما بينهم, إلا إذا كان حديثًا داعيًا إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو التوفيق بين الناس, ومن يفعل تلك الأمور طلباً لرضا الله تعالى راجياً ثوابه، فسوف نؤتيه ثواباً جزيلا واسعاً.

{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ (147) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)}[8]

الذي أُنزل إليك -أيها النبي- هو الحق من ربك، فلا تكونن من الشاكّين فيه. وهذ وإن كان خطابا للرسول- صلى الله عليه وسلم- فهو موجّه للأمة. ولكل أمة من الأمم قبلة يتوجَّه إليها كل واحد منها في صلاته، فبادروا - أيها المؤمنون- متسابقين إلى فِعْل الأعمال الصالحة التي شرعها الله لكم في دين الإسلام. وسيجمعكم الله جميعا يوم القيامة من أي موضع كنتم فيه. إن الله على كل شيء قدير.

---

[7] سورة النساء

[8] سورة البقرة

Digitized by Google

{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)}[9]

واستمروا- أيها المؤمنون- في إنفاق الأموال لنصرة دين الله تعالى، والجهاد في سبيله، ولا تُوقعوا أنفسكم في المهالك بترك الجهاد في سبيل الله، وعدم الإنفاق فيه، وأحسنوا في الانفاق والطاعة، واجعلوا عملكم كله خالصاً لوجه الله تعالى. إن الله يحب أهل الإخلاص والإحسان.

{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)}[10]

ليس أهل الكتاب متساوين: فمنهم جماعة مستقيمة على أمر الله مؤمنة برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، يقومون الليل مرتلين آيات القرآن الكريم، مقبلين على مناجاة الله في صلواتهم. يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالخير كله، وينهون عن الشر كلِّه، ويبادرون إلى فعل الخيرات، وأولئك مِن عباد الله الصالحين. وأيُّ عمل قلَّ أو كَثُر من أعمال الخير تعمله هذه الطائفة المؤمنة فلن يضيع عند الله، بل يُشكر لهم، ويجازون عليه. والله

[9] سورة البقرة

[10] سورة آل عمران

Digitized by Google

عليم بالمتقين الذين فعلوا الخيرات وابتعدوا عن المحرمات; ابتغاء رضوان الله، وطلباً لثوابه.

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)}[11]

وبادروا بطاعتكم لله ورسوله لاغتنام مغفرة عظيمة من ربكم، وجنة واسعة عرضها السموات والأرض، أعدها الله للمتقين. الذين ينفقون أموالهم في اليسر والعسر، والذين يمسكون ما في أنفسهم من الغيظ بالصبر، وإذا قَدَروا عَفَوا عمَّن ظلمهم. وهذا هو الإحسان الذي يحب الله أصحابه.

{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61) وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (62)}[12]

[11] سورة آل عمران

[12] سورة المؤمنون

Digitized by Google

إنَّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون وَجِلون مما خوَّفهم الله تعالى به. والذين هم يصدِّقون بآيات الله في القرآن، ويعملون بها. والذين هم يخلصون العبادة لله وحده، ولا يشركون به غيره. والذين يجتهدون في أعمال الخير والبر، وقلوبهم خائفة ألا تُقبل أعمالهم، وألا تنجيهم من عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب. أولئك المجتهدون في الطاعة، دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح، وهم إلى الخيرات سابقون. ولا نكلف عبداً من عبادنا إلا بما يسعه العمل به، وأعمالهم مسطورة عندنا في كتاب إحصاء الأعمال الذي ترفعه الملائكة ينطق بالحق عليهم، ولا يُظْلم أحد منهم.

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90)}[13]

واذكر – أيها الرسول – قصة زكريا حين دعا ربه أن يرزقه الذرية لما كَبِرت سنُّه قائلاً: رب لا تتركني وحيدًا لا عقب لي، هب لي وارثًا يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي، وأنت خير الباقين وخير مَن خلفني بخير. فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى، وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقراً، إنهم كانوا يبادرون إلى كل

[13] سورة الأنبياء

Digitized by Google

خير، ويدعوننا راغبين فيما عندنا، خائفين من عقوبتنا، وكانوا لنا خاضعين متواضعين.

{إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (5) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (7) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (9)}[14]

إن أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله، يشربون يوم القيامة مِن كأس فيها خمر ممزوجة بأحسن أنواع الطيب، وهو ماء الكافور. هذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله، يتصرفون فيها، ويُجْرونها حيث شاؤوا إجراءً سهلا. هؤلاء كانوا في الدنيا يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من طاعة الله، ويخافون عقاب الله في يوم القيامة الذي يكون ضرره خطيراً، وشره فاشياً منتشراً على الناس، إلا مَن رحم الله، ويُطْعِمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم إليه، فقيرًا عاجزًا عن الكسب لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، وطفلا مات أبوه ولا مال له، وأسيرًا أُسر في الحرب من المشركين وغيرهم، ويقولون في أنفسهم: إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثوابه، لا نبتغي عوضاً ولا نقصد حمداً ولا ثناءً منكم.

[14] سورة الإنسان

Digitized by Google

كذلك وردت كثير من الآيات، التي تحذر من التهاون والتكاسل عن فعل الخير وصنع المعروف، مثل إطعام الطعام، أو الإنفاق على الفقراء، وغير ذلك من أعمال البر.

فقال تعالى:

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)}[15]

أرأيت حال ذلك الذي يكذِّب بالبعث والجزاء؟ فذلك الذي يدفع اليتيم بعنف وشدة عن حقه؛ لقساوة قلبه. ولا يحضُّ غيره على إطعام المسكين، فكيف له أن يطعمه بنفسه؟ فعذاب شديد للمصلين الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يقيمونها على وجهها، ولا يؤدونها في وقتها. الذين هم يتظاهرون بأعمال الخير مراءاة للناس. ويمنعون إعارة ما لا تضر إعارته من الآنية وغيرها، فلا هم أحسنوا عبادة ربهم، ولا هم أحسنوا إلى خلقه.

{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنْ الْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ

[15] سورة الماعون

Digitized by Google

نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47)}[16]

كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة مرهونة بكسبها، لا تُفَكُّ حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات، إلا المسلمين المخلصين أصحاب اليمين الذين فكُّوا رقابهم بالطاعة، هم في جنات لا يُدْرَك وصفها، يسأل بعضهم بعضاً عن الكافرين الذين أجرموا في حق أنفسهم: ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيرها؟ قال المجرمون: لم نكن من المصلِّين في الدنيا، ولم نكن نتصدق ونحسن للفقراء والمساكين، وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغَواية والضلالة، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء، حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات.

{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34)}[17]

يقال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها، ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعًا فأدخلوه فيها؛ إنه كان لا يصدِّق بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له،

[16] سورة المدثر

[17] سورة الحاقة

Digitized by Google

ولا يعمل بهديه، ولا يحث الناس في الدنيا على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم.

انظر كيف أمر القران الكريم بالمعروف في كل أطوار الحياة الزوجية؛ من معاشرة وما يتعلق بحقوق الزوجين، وحين الطلاق، وحين الإمساك قبل انقضاء العدة، وحين الفراق بالطلاق، وحين الرغبة في العودة إلى ذات الزوج بعد الطلاق، وفي الإرضاع بعد الطلاق.

{... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً (19)}[18]

ولتكن مصاحبتكم لنسائكم مبنية على التكريم والمحبة، وأداء ما لهن من حقوق. فإن كرهتموهن لسبب من الأسباب الدنيوية فاصبروا; فعسى أن تكرهوا أمراً من الأمور ويكون فيه خير كثير.

{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... (2)}[19]

فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتهن فراجعوهن مع حسن المعاشرة، والإنفاق عليهن، أو فارقوهن مع إيفاء حقهن، دون المضارَّة لهن، وأشهدوا على الرجعة أو المفارقة رجلين عدلين منكم، وأدُّوا- أيها الشهود- الشهادة

[18] سورة النساء

[19] سورة الطلاق

Digitized by Google

خالصة لله لا لشيء آخر، ذلك الذي أمركم الله به يوعظ به مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

{... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)}[20]

وللنساء حقوق على الأزواج، مثل التي عليهن، على الوجه المعروف، وللرجال على النساء منزلة زائدة من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف والقِوامة على البيت ومِلك الطلاق. والله عزيز له العزة القاهرة، حكيم يضع كل شيء في موضعه المناسب.

{الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ (229)}[21]

الطلاق الذي تحصل به الرجعة مرتان، واحدة بعد الأخرى، فحكم الله بعد كل طلقة هو إمساك المرأة بالمعروف، وحسن العشرة بعد مراجعتها، أو تخلية سبيلها مع حسن معاملتها بأداء حقوقها، وألا يذكرها مطلقها بسوء. ولا يحل لكم- أيها الأزواج- أن تأخذوا شيئًا مما أعطيتموهن من المهر ونحوه،

[20] سورة البقرة

[21] سورة البقرة

Digitized by Google

إلا أن يخاف الزوجان ألا يقوما بالحقوق الزوجية، فحينئذ يعرضان أمرهما على الأولياء، فإن خاف الأولياء عدم إقامة الزوجين حدود الله، فلا حرج على الزوجين فيما تدفعه المرأة للزوج مقابل طلاقها. تلك الأحكام هي حدود الله الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله تعالى فأولئك هم الظالمون أنفسهم بتعريضها لعذاب الله.

{وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)}[22]

وإذا طَلَّقتم النساء فقاربن انتهاء عدتهن، فراجعوهن، ونيتكم القيام بحقوقهن على الوجه المستحسن شرعًا وعرفًا، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن. واحذروا أن تكون مراجعتهن بقصد الإضرار بهن لأجل الاعتداء على حقوقهن. ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه باستحقاقه العقوبة، ولا تتخذوا آيات الله وأحكامه لعباً ولهواً. واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وتفصيل الأحكام. واذكروا ما أنزل الله عليكم من القرآن والسنة، واشكروا له سبحانه على هذه النعم الجليلة، يُذكِّركم الله بهذا، ويخوفكم من المخالفة،

[22] سورة البقرة

Digitized by Google

فخافوا الله وراقبوه، واعلموا أن الله عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، وسيجازي كلا بما يستحق.

{وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (232)}[23]

واذا طلَّقتم نساءكم دون الثلاث وانتهت عدتهن من غير مراجعة لهن، فلا تضيقوا -أيها الأولياء- على المطلقات بمنعهن من العودة إلى أزواجهن بعقد جديد إذا أردن ذلك، وحدث التراضي شرعًا وعرفًا. ذلك يوعظ به من كان منكم صادق الإيمان بالله واليوم الآخر. إن تَرْكَ العضل وتمكين الأزواج من نكاح زوجاتهم أكثر نماء وطهارة لأعراضكم، وأعظم منفعة وثوابًا لكم. والله يعلم ما فيه صلاحكم وأنتم لا تعلمون ذلك.

{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (233)}[24]

---

[23] سورة البقرة

[24] سورة البقرة

Digitized by Google

وعلى الوالدات إرضاع أولادهن مدة سنتين كاملتين لمن أراد إتمام الرضاعة، ويجب على الآباء أن يكفُلوا للمرضعات المطلقات طعامهن وكسوتهن، على الوجه المستحسن شرعًا وعرفًا; لأن الله لا يكلف نفساً إلا قدر طاقتها، ولا يحل للوالدين أن يجعلوا المولود وسيلة للمضارّة بينهما، ويجب على الوارث عند موت الوالد مثل ما يجب على الوالد قبل موته من النفقة والكسوة. فإن أراد الوالدان فطام المولود قبل انتهاء السنتين فلا حرج عليهما إذا تراضيا وتشاورا في ذلك; ليصلا إلى ما فيه مصلحة المولود. وإن اتفق الوالدان على إرضاع المولود من مرضعة أخرى غير والدته فلا حرج عليهما، إذا سلَّم الوالد للأم حقَّها، وسلَّم للمرضعة أجرها بما يتعارفه الناس. وخافوا الله في جميع أحوالكم، واعلموا أن الله بما تعملون بصير، وسيجازيكم على ذلك.

Digitized by Google

اصْنع معروفاً .. كلَّ يوم

Digitized by Google

اصنع معروفاً كل يوم

المعروف-كما قيل- هو اسم لكل فعل يُعرَف بالعقل أو الشرع حُسنه، وعرّفه آخرون فقالوا: هو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة اللّه والتقرّب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندَب إليه الشرعُ من المحسَّنات، ونهى عنه من المقَبَّحات. وهو من الصفات الغالبة، أَي أَمْر مَعْروف بين الناس إذا رأَوْه لا يُنكرونه. والمعروف النَّصَفةُ وحُسْن الصُّحْبةِ مع الأَهل وغيرهم من الناس والمنكَر ضدّ ذلك جميعه.

أما صنع المعروف فهو فعل الخير وإسداؤه إلى جميع الخَلق، سواءً كان مالاً أو علماً أو جاهاً أو خُلقاً. سواءً كان هؤلاء الخَلق إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو حتى جماداً.

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخٍ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً، ومن كفّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غضبه ولو شاء أن يمضيه أمضاه

Digitized by Google

ملأ الله قلبه رخاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبّت الله قدمه يوم تزول الأقدام.)[25]

يمكن أن يكون المعروف بذل المال، أو إطعام الطعام، أو سقابة الماء، أو سداداً لدَين، أو تفريجاً لكرب.

قد يكون جاهاً مبذولاً في الإصلاح أو الشفاعة.

قد يكون علماً نافعاً يزيل به صاحبه وحشة القلوب وظلمة الجهل.

قد يكون حكمة أو خبرة يعطيهما لمن جاء يطلب نصيحة مخلصة، أو مشورة صادقة.

وإن من المعروف ما هو أهون من هذا! إنه حسن المعاملة وطلاقة الوجه.

بل إن هناك ما هو أهون من ذلك كله! نعم .. إنه كفّ الأذى، وإمساك الشر عن الخلق.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالخير أو قال بالمعروف، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال :فليمسك عن الشر فإنه له صدقة.)[26]

---

[25] رواه ابن أبي الدنيا، وحسّن الألباني إسناده

[26] رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري

Digitized by Google

وقال: (كل معروف صدقة.)[27]

(كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقةٌ.)[28]

فإذا كان كل معروف صدقة، وكل سلامى (أي كل مفصل، أو كل عظم) من المسلم كل يوم عليه صدقة، فإن على المسلم أن يبذل المعروف بعدد مفاصل جسده، وأقل القليل معروف واحد يبذله يكل يوم.

واجب على المسلم أن يكون له نصيب من المعروف كل يوم، يجود فيه بما ملكت يداه، فلا ينبغي لعاقل أن يمر عليه يوم دون خيرٍ يضيفه أو برٍ يبذله، أو هدى يعطيه، أو معروف يُسديه، مهما قلّ أو صغر.

تخيل معي لو أن كل مسلم صنع معروفاً- ولو واحداً- كل يوم، كيف يكون العالم من حولنا؟ يقيناً سوف يكون أجمل وأفضل وأرقى وأسعد.

ولله درّ من قال: (عجباً لمن يشتري المماليك بماله، كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه وفعاله!)

المشكلة أن كثيراً من الناس يمرّ عليه اليوم، ولربما الهلال ثم الهلال وما أوقدوا في مجتمعاتهم شعلة من خير، أو قبساً من برٍ، أو نبراساً من هدى. أيامٌ ذوات

---

[27] رواه البخاريُّ ومسلم

[28] رواه البخاريُّ ومسلِمٌ

Digitized by Google

العدد تمضي وما أطعم أحدهم جائعاً، أو علّم جاهلاً، أو هدى ضالاً، أو أرشد سائلاً، أو أغاث ملهوفاً، أو مشى بين الناس بالخير.

يقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه القيم "هكذا علمتني الحياة": (للخير طريقان: بذل المعروف أو نيته، ومن لم يكن له نصيب في هذا ولا ذاك فهو أرض بوار.)

قال صلى الله عليه وسلم: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة.)[29]

وعن سعد بن عبادة قال: يا رسول الله إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: نعم، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: (سقي الماء، فتلك سقاية سعد بالمدينة.)[30]

وقال صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.)[31]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: (يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله، قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً أو

---

[29] أخرجه الحاكم وصححه الألباني

[30] رواه النسائي وأحمد

[31] رواه مسلم عن أبي هريرة

Digitized by Google

تصنع لأخرق، قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفتُ عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك.)[32]

وكما جاءت الأحاديث تحث على صنع المعروف وتدعو إليه، فقد جاءت أخرى تحذر أشدّ التحذير من تركه، أو التهاون فيه لمن ملّكه الله شيئاً يحتاجه غيره من الخلائق فمنعه عنهم، خاصة إذا كان ينفرد بهذا الشيء دون غيره من الناس.

قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء فيقول الله اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك.)[33]

وقال: (ثلاثة لا يكلمهم اللّه ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا بزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع الإمام لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفّى له وإن لم يعطه لم يفِ له، ورجل باع سلعة بعد العصر فحلف باللّه لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك.)[34]

---

[32] رواه البخاري ومسلم

[33] رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

[34] أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة

Digitized by Google

وقال: (دخلت امرأة النار في هرة؛ ربطتها فلم تطعمها و لم تدعها تأكل من خشاش الأرض.)[35]

عن عبد الله بن جعفر قال: دخل صلى الله عليه وسلم حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبيَ صلى الله عليه وسلم حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبيُ صلى الله عليه وسلم فمسح ذُفراه فسكت فقال: (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟) فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتُدئبه.)[36]

عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة (هي طائر) معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش (أي جناحيها وترفرف في الأرض)، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها.)[37]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله صلى الله عليه

---

[35] رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

[36] رواه أبو داود

[37] رواه أبو داود

Digitized by Google

وسلم فقال: (أين المتألي على الله لا يفعل المعروف ؟ فقال أنا يا رسول الله، فله أي ذلك أحب.)[38]

ومعنى (يستوضعه) أي يسأله أن يضع عنه بعض دينه، (والمتألي) أي الحالف.

إن من الناس من يخرج بيته، لا يخرجه إلا صنع المعروف، فينطلق لا يريد بيعاً ولا شراءً، ولكن يمضي كي يعين ذا حاجة، أو يغيث ملهوفاً، أو ينصر مظلوماً، أو يعطي سائلاً، أو حتى يُفشي السلام، ولربما كان نصيبه من صنع المعروف طلاقة الوجه، وابتسامة الثغر، يهديها لكل من يراه، أو دعوة صالحة يدعو بها لكل من يلقاه.

صنع الجميل وفعل الخير إن أُثرا أبقى وأحمدُ أعمال الفتى أثرا
والناس ما لم كالسائمات وإن سميتهم بشرا
إن كان قلبك لم تَعْطفه عاطفةٌ على المساكين فاستبدل به حجرا

وقال بعضهم: (إن ما يجده صاحب المعروف في قلبه من السرور والغبطة وقت الإحسان، مساوٍ تماماً لقدر ما يصل إلى شخص من أحسن إليه من راحة وتفريج همّ، فإذا نظرت إلى الحقيقة رأيت أنه لا يصل إلى أحد منك

[38] متفق عليه

Digitized by Google

رفاهية بغير هنائك؛ فصار حقّاً أنك تنال جزاء الخير في هذه الدنيا أيضاً قبل الآخرة.)

مظاهر صُنع المعروف

Digitized by Google

مظاهر صُنع المعروف

بذل الندى

قد يكون المعروف مالاً ينفقه المسلم من طيب كسبه- والله لا يقبل إلا طيباً- وعن طيب خاطر، ابتغاء مرضاة الله، يبذله لفقير محتاج لتكون صدقة، أو لقريب معوز لتكون صدقة وصلة. {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)}[39]

ينفقها سراً فيطفيء بها غضب الرب سبحانه، أو جهراً فيقتدي به غيره، فتكون سنة حسنة له ثوابها وأجر من عمل بها. {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)}[40]

{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)}[41]

---

[39] سورة البقرة

[40] سورة البقرة

[41] سورة البقرة

Digitized by Google

صَدقةٌ يتناولها بكف الصدق، يأخذها من حافظة التقوى، وبعد أن يطهرها بماء المراقبة، ويعطّرها بعروق الإخلاص، ويبذلها بيد التواضع، يسبقها بقول معروف، ولا يُتبعها بمنٍ ولا إيذاء. {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّاً وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263)}[42]

أفسدتَ بالمنِّ ما أسديتَ من ليس الكريم إذا أسدى بمنانِ

وقد يكون المعروف تنفيس كرب، أو تفريج همّ، أو إغاثة ملهوف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من نفَّس عن مؤمن كربة نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه)[43]

لا أظن أن هناك عملاً أعظم قربة إلى المولى سبحانه من من تفريج كرب مكروب أو إغاثة ملهوف، يكفي أن الله- عز وجلّ- جعل جزاء ذلك تفريج كربة من كربات يوم القيامة، بل إن العلماء قد استنبطوا من هذا الحديث أن منْ كان هذا خُلقه ودأبه فإنه يُختم له بخير، إذ الكافر لا يُفرج عنه يوم القيامة.

---

[42] سورة البقرة

[43] رواه مسلم

Digitized by Google

إن من أعظم الوسائل في تفريج الكروب إقراض المدين، كي يسُد به جوعاً أو يداوي به مريضاً، وأفضل من هذا أن يُنظره إلى ميسرة إذا أُعسر حين يحلّ وقت السداد، وأعظم من ذلك كله أن يُسقط عنه الدَين بالكلية إذا استطاع.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لصبيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه.)[44]

وقال: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسرًا فلهُ بكلِّ يومٍ صدقةٌ قبل أَن يَحلَّ الدَّيْن، فإِذا حَلَّ الدَّيْن فَأَنْظَرَهُ بعد ذلك، فله بكلِّ يوم مثله صدقة .)[45]

وقال: (من أنظر معسرا أو وضع له، أظلّه الله يوم القيامة تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله)[46]

وقال أيضا: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه)[47]

إن الدَين حمل ثقيل وهَمٌّ عظيم، استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فكان يدعو: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن، وأعوذ بك من العجز

---

[44] متفق عليه

[45] رواه أحمد وابنِ مَاجَهْ وصححه الألباني

[46] رواه مسلم

[47] رواه مسلم

Digitized by Google

والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال.)[48]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم. فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله من المغرم، فقال: إن الرجل إذا غرِم: حدّث فكذب، ووعد فأخلف.)[49]

إن أدلة الشرع لتدل على خطورة أمر الاستدانة، فالشهيد الذي يُغفر له عند أول قطرة من دمه، ويُؤمّن من فتنة القبر، ويُشَفّع في سبعين من أهله، وروحه في حواصل طير خضر في الجنة تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، يُغفر له كل شيء إلا الدَين، ففي الحديث: (يُغفر للشهيد كل شيء إلا الدَّين.)[50] وروي أن رجلا قال : يا رسول الله! أرأيتَ إن قتلتُ في سبيل الله أتكفّر عني خطاياي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (نعم وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر .. إلا الدَين.)[51]

---

[48] روا ه البخاري في صحيحه

[49] متفق عليه

[50] رواه مسلم

[51] رواه مسلم

Digitized by Google

فواجب على المسلم إذا استدان أن ينوي الخير ويعزم على السداد، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله.)[52]

غنيٌ عن القول أن المال هو عصب الحياة وقوامها، لكنه بالطبع ليس هدفها. اعتبره الإسلام ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانية، وشرع من التشريعات والتوجيهات ما يشجع على اكتسابه وتحصيله، ويكفل صيانته وحفظه وتنميته، فهو أحد الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بالحفاظ عليها، وهي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال. فالمرء يحتاج المال في كافة شئون حياته؛ في طعامه وشرابه ومسكنه وملبسه، وبه يجلب الناس مصالحهم ويستدفعون به الضرر عن أنفسهم، وتقام به العبادات كالزكاة والحج والجهاد وكذلك المعاملات، وبه يتعفف الناس عن ذل السؤال.

وقد جعل الشرع للمال حُرمة عظيمة، وأولاه عناية واهتماماً، فقد حث على تحصيل الرزق وكسب الأموال باعتبارها قوام الحياة الإنسانية، واعتبر السعي لكسب المال بالنية الصالحة ومن الطرق المباحة ضرباً من ضروب العبادة، وطريقاً للتقرب إلى الله {فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)}[53]

---

[52] رواه البخاري

[53] سورة الجمعة

Digitized by Google

وأباح المعاملات العادلة التي لا ظلم فيها ولا اعتداء،كالبيع والإجارة والرهن والشراكة وغيرها، شريطة أن لا تنطوي على الظلم أو الإجحاف بطرف من الأطراف، كما حرم اكتساب المال بالوسائل غير المشروعة والتي تضر بالآخرين، كالربا والرشوة والاختلاس والغش والتدليس وخيانة الأمانة وأكل أموال اليتامى ظُلمًا، كما حرم الاعتداء على مال الغير بالسرقة أو السطو أو التحايل، ومنع إنفاق المال في الوجوه غير المشروعة، وحث على إنفاقه في سبل الخير، وذلك مبني على قاعدة من أهم قواعد النظام الاقتصاد الإسلامي وهي أن المال مال الله، وأن الفرد مستخلف فيه {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)}[54]

{....وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ .....(33)}[55]

وسنّ التشريعات الكفيلة بحفظ أموال القصّر والذين لا يحسنون التصرف في أموالهم من يتامى وصغار حتى يبلغوا سن الرشد {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً (6)}[56]

---

[54] سورة الحديد

[55] سورة النور

[56] سورة النساء

Digitized by Google

ومن ذلك أيضاً الحَجْر على البالغ إذا كان سيء التصرف في ماله {وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (5)}[57]

ونظّم التعامل المالي والعقود على أساس من الرضا والعدل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ... (29)}[58]

وبهذه التشريعات كلها حفظ الإسلام المال وصانه عن الفساد، حتى يؤدي دوره كقيمة لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانية.

ومن الجدير بالذكر هاهنا أن القرآن الكريم قد سمّى المال بأسماء مختلفة، فسماه (فضل الله)، وذلك في خمسة وعشرين موضعا، منها:

{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268)}[59]

{وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180)}[60]

---

[57] سورة النساء

[58] سورة النساء

[59] سورة البقرة

[60] سورة آل عمران

Digitized by Google

و سماه (خيراً)، وذلك في واحد وعشرين موضعا، منها:

{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (272)}[61]

{إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8)}[62]

وسماه كذلك (حَسَنة)، وذلك في اثني عشر موضعا، منها:

{إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)}[63]

وسماه (رزقاً حسناً) في موضعين اثنين:

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً .... (88)}[64]

---

[61] سورة البقرة

[62] سورة العاديات

[63] سورة آل عمران

[64] سورة هود

Digitized by Google

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً ... (75)}[65]

وسماه كذلك (رحمة)، وذلك في اثني عشر موضعا، منها:

{قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُوراً (100)}[66]

{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً (28)}[67]

أما كلمة (مال) فقد ذُكرت ستاً وثمانين مرة، ما بين مفردة وجمع ومعرفة ونكرة وإضافة، من ذلك قوله تعالى:

{وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (88) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)}[68]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ (9)}[69]

---

[65] سورة النحل

[66] سورة الإسراء

[67] سورة الإسراء

[68] سورة الشعراء

[69] سورة المنافقون

Digitized by Google

{ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (6)}[70]

ومما قاله الشعراء عن المال قول القائل:

النار آخر دينار نطقتَ به والهمّ آخر هذا الدرهم الجاري
والمرء بينهما ما لم يكن ورعاً معذبُ القلب بين الهمّ والنار

وقال أحمد شوقي:

يا طالباً لمعـــالي الملك مجتهداً خذها من العلم أو خذها من المالِ
بالعلم والمال يبني الناس مُلكهمُ لم يُبن ملك على جهل وإقـــلالِ

وقال آخر مبرراً انشغال الإنسان بالمال عن الشعر والأدب:

يا من يلوم ابن التراب بشغله بالفلس عن شِعر وعن أشعار
أرأيت في المرعى حماراً عاقلاً يلهو عن الأعشاب بالأزهار

وقالوا عن أهمية المال:

إن الكريم الذي لا مال في يدهِ مثل الشجاع الذي في كفه شَلَلُ
والمال مثل الحصا مادام في يدنا فليس ينفع إلا حين ينتقلُ

[70] سورة الإسراء

Digitized by Google

أما البخيل فقد قالوا عنه:

وذي حرصٍ تراه يَلم وفراً لوارثــه ويدفع عن حِماهُ
ككلب الصيد يمسك وهو طاوٍ فريسته ليأكــلها ســواه

وقال آخر يصف بخيلاً:

يُقتّر عيسى على نفسه وليس بباقٍ ولا خالدِ
ولو يستطيع لتقتيره تنفسَ من مِنخر واحدِ

Digitized by Google

مظاهر صُنع المعروف

بذل العلم

من مراتب المعروف أيضاً الجود بالعلم، وهو من أشرف المراتب، وبذلُه للناس من أعظم القُربات إلى الله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمِ الناس الخير.)[71]

وقوله: (وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.)[72]

وقال صلى الله عليه وسلم" :(لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويعلّمها.)[73]

ولعله أشرف من الجود بالمال، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187)}[74]

---

[71] أخرجه الترمذي

[72] أخرجه أبو داوود

[73] رواه البخاري

Digitized by Google

الجود بالعلم خير من المال؛ فالعلم يحتاجه الجميع، بخلاف المال الذي يحتاجه الفقراء دون الأغنياء، والعلم يحفظك بينما أنت تحفظ المال. العلم يزكو بالإنفاق ويثبت في صدر صاحبه حين يُعلّمه لغيره، أما المال فتُنقصه النفقة. العلم لا ينقطع بموت صاحبه، بينما المال يُفرّق على ورثته. (إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[75]

هو العَذْب المهنّد ليس ينبو تصيبُ به مضاربَ من أردتَ
وكنزٌ لا تخاف عليه لصاً خفيفُ الحمْل يوجد حيث
يزيد بكثرة الإنفاق منـــه وينقـــص إنْ به كفّاً شددت

إذا كان ذلك كذلك، أعني أن العلم أشرف من المال، فلماذا يُشاهد العلماء على أبواب الأغنياء، بينما لا نرى الأغنياء في حلقات أهل العلم؟ والجواب سهل يسير، ذلكم أن العلماء عرفوا فضل المال، بينما الأغنياء لم يعرفوا فضل العلم.

إنّ مَن بخل بعلمه، وبالنور الذي يحمله في صدره، لَهُو أشدّ بخلاً ممن بخل بماله. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ (159)

[74] سورة آل عمران

[75] أخرجه مسلم

Digitized by Google

إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)}[76]

ومن شرف العلم وفضله أنَّ كل من نُسب إليه فرح بذلك، وإنْ لم يكن من أهله، وكل من دُفع عنه ونُسب إلى الجهل عزَّ عليه ونال ذلك من نفسه، وإنْ كان جاهلاً حقاً.

ومن شرف العلم وفضله كذلك، **أن** الله تعالى جعل صيد الكلب الجاهل مَيتةً يحرم أكلها، وأباح صيد الكلب المعَلّم، الذي دربه صاحبه على أن يمسك بالصيد دون أن يأكل منه، فدل ذلك على فضل العلم، فلولا مزيّة العلم والتعليم لكان صيد الكلب المعَلّم والجاهل سواء. {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنْ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمْ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (4)}[77]

أي يسألك أصحابك -أيها النبي- : ماذا أُحِلَّ لهم أَكْلُه؟ قل لهم: أُحِلَّ لكم الطيبات وصيدُ ما دَرَّبتموه من ذوات المخالب والأنياب من الكلاب والفهود والصقور ونحوها مما يُعَلَّم، تعلمونهن طلب الصيد لكم، مما علمكم الله، فكلوا

[76] سورة البقرة

[77] سورة المائدة

Digitized by Google

مما أمسكن لكم، واذكروا اسم الله عند إرسالها للصيد، وخافوا الله فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه. إن الله سريع الحساب.

ومن جميل ما جاء في شرف العلم كذلك قول القائل:

عِلمُ العليم وعقلُ العاقل اختلفا أيُّ الذي منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال: أنا أحرزتُ غايتَه والعقل قال: أنا الرحمنُ بي عُرفا
فأفصحَ العلمُ إفصاحاً وقال له: بأيّنا اللهُ في فرقانه اتصـــفا
فبان للعقل أن العلمَ سيدُه فقبَّل العقلُ رأسَ العلم وانصرفا

Digitized by Google

مظاهر صُنع المعروف

بذل الجاه

قد يكون المعروف إصلاحاً بين متخاصمين، بل هو من أجلّ المعروف وأعظم القربات إلى الله، وقد قالوا: (ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين)، سواءاً كانا زوجين أو شريكين أو أخوين أو صديقين أو جارين. قال تعالى:{لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (114)}[78]

{يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)}[79]

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)}[80]

وقال صلى اللّه عليه وسلم: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا : بلى، قال إصلاح ذات البين إذا تقاطعوا.)[81]

---

[78] سورة النساء

[79] سورة الأنفال

[80] سورة الحجرات

[81] رواه الترمذي وأبو داود

Digitized by Google

الإصلاح بين الناس أعظم وأثوب عند الله من النوافل من صلاة وصيام وصدقة، ذلكم أن الفرائض- بالطبع- لا يعدلها شيء.

الإصلاح بين الناس يجب أن يكون هدفاً ومقصداً لكل صالح مصلح محب للخير بين الناس؛ فهو يقطع النزاع وينهي العداوة ويجلب المودة والتآلف بين القلوب، يطفيء شرارة الحقد والبغضاء التي تجعل الإنسان يوغل في الفجور والمكيدة حين الخصام.

فهو إذاً أمر عظيم يستحق أن يبذل صاحبه من وقته وجهده وجاهه، بل إنه واحد من ثلاثة مواطن أحل الله فيها الكذب، لما يحتاج المصلح من تأليف قلوب المتخاصمَين.

قال صلى اللَّه عليه وسلم: (ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيرا.)[82]

(لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: رجل يصلح بين اثنين، والحرب خدعة، والرجل يستصلح امرأته.)[83]

قد يكون المعروف شفاعة حسنة من صاحب الجاه، زكاةً عن بدنه، يسعى في قضاء أصحاب الحاجات، وكشف الكربات، ومعونة الضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر علي الوصول إلي السلطان ولا التمكن منه ليلج عليه أو

[82] رواه أحمد

[83] رواه أحمد

Digitized by Google

يوضح له مراده ليعرف حاجته، فحري بمن كان ذا جاهٍ يستشفع به عند الكبراء أن يشكر نعمة الله عليه إذ جعل حوائج الناس إليه.

الناس بالناس مادام الحياة بهم والسعد لاشك تاراتٌ وهبّاتُ
وأفضل الناس ما بين الورى رجلٌ تُقضى على يده للناس حاجاتُ
لا تمنعنَّ يد المعروف عن أحدٍ مـــا دمت مقتدراً فالسعد تاراتُ
واشكر فضائل صُنع الله إذ إليك لا لك عند الناس حاجات

وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء)[84]
وقال: (إن الرجل ليسألني الشيء، فأمنعه حتى تشفعوا فيه فتؤجروا.)[85]

فُرضتْ عليَّ زكاة ُماملكتْ يدي وزكاة ُجاهي أن أُعينَ وأَشفعـــا
فإذا ماملكتَ فجُد، فإن لم تستطع فاجهد بوسعكَ كله أن تنفعا

قال تعالى:{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (85)}[86]

---

[84] رواه البخاري و مسلم
[85] رواه النسائي
[86] سورة النساء

Digitized by Google

من الشفاعة ما هو حسن، وهو ما سبق ذكره، ومنها ما هو مذمومٌ والشافع فيها مأزورٌ غير مأجور، وذلك كأن يشفعَ في حدّ من حدود الله، فلا يجوز تعطيلُ الحدود، لا بعفو، ولا شفاعةٍ، ولا غير ذلك. ولما شفع أسامةُ بن زيد عند النبي صلى الله عليه وسلم في المرأة المخزومية التي سرقت، غضب وقال: (أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟!)[87]

كما ينبغي لصاحب الشفاعة ألا يندمَ إذا رُدّت شفاعته، ولا يتأذى على من لم يقبلها، ولا يجد في قلبه عليه، ولا يعتقد في نفسه أن كرامته قد مُسّت أو أن وجاهته قد خُدشت، فعن ابن عباس رضى الله عنهما في قصة بريرة وزوجها، قال: قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (لو رَاجَعْتِهِ؟ قالت : يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه.)[88]

---

[87] متفق عليه

[88] رواه البخاري

Digitized by Google

مظاهر صُنع المعروف

حُسن الخلق

قد يكون المعروف رداءً من من حلم، يتقي به المرء شرارة الغضب التي إذا اشتعلت أحرقت ما حولها من أخضر ويابس، رداء يحتمي به صاحبه من حمق الحمقى وجهل الجاهلين.

لكل داءٍ دواءٌ يُستطَب به إلا الحماقة أعيت من يداويها

قد يكون المعروف كظماً لغيظ أو كتماً لغضب، حين يُستثار المرء من بعض من أساء إليه، وقد يكون المعروف أكبر حين يُتبع ذلك بعفوٍ عمن أساء، طمعاً في ثواب الوهاب، وقد يكون أعظم من هذا وذاك إذا أتبع العفو بإحسان عمن أساء.

قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)}[89]

قال رسول الله لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة.)[90]

---

[89] سورة آل عمران

Digitized by Google

الحلم من أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي الألباب، لما فيه من سلامة العِرض وراحة الجسد، واكتساب الحمد. {خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ (199)}[91]

{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (43)}[92]

وقال بعضهم: (ما ذَبَّ عن الأعراض كالصفح والإعراض.)

أحبُّ مكارمَ الأخلاق وأكره أن أُعيب وأن أُعابا
وأصفح عن سِباب الناس حِلماً وشرُّ الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيّبوه ومن حقّر الرجالَ فلن يُهابا

وحدُّ الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب، وهذا يكون عن باعث وسبب، وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس كثيرة، منها: الرحمة بالجاهلين، قال أبو الدرداء- رضي الله عنه- لرجل أسمعه كلاماً: (يا هذا لا تُغرقنَّ في سَبّنا، ودع للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.)

ومنها كذلك القدرة على الإنتصار، وهذا ناتج عن سعة الصدر والثقة بالنفس، فقد قالوا: (وإذا قدرتَ على عدوّك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه)، ومنها الترفّع عن مجاراة المخطئ أو السفيه، وهذا دليل على شرف

---

[90] رواه مسلم

[91] سورة الأعراف

[92] سورة الشورى

Digitized by Google

النفس، وعلو الهمة. ومنها الاستهانة بالمسيء لا عن كِبر وإعجاب بالنفس، إنما هو نأي عن منافس لا يساويك قدراً.

أوَ كلما طنَّ الذباب طردتُه إنّ الذباب إذاً عليَّ كريمُ

ومنها كذلك التفضّل على المسيء وتآلفه، واستيعابه، فقد حُكي عن الأحنف بن قيس أنه قال: (ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى مني عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعتُ قدري عنه، وإن كان نظيري تفضّلتُ عليه.)

سألزم نفسي الصفح عن كل وإن كَثُـــرتْ منه إليَّ الجرائمُ
فما الناس إلا واحد من ثلاثة شريفٌ ومشروف ومِثل مقاومُ
فأما الذي فوقي فأعرف قدره وأتبع فيه الحقَّ، والحقُّ لازم
وأما الذي دوني فأحلم دائباً أصون به عِرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا تفضّلتُ، إن الفضل بالفخر حاكم

ومنها قطع دابر الخصام، وهذا من الحزم. قال أحد الحكماء: (في الإعراض صونُ العِرض.)

فينبغي لذي العقل السويّ، والحزم القويّ أن يتلقى قوّة الغضب بحلمه فيصدّها، ويقابل عوادي شره بحَزمه فيردّها، فيحظى بصيانة العرض وعاقبة الحمد.

Digitized by Google

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني. قال: (لا تغضب فردد مرارا قال: لا تغضب.)[93]

الصحابي يسأل رسول الله أن يوصيه، فلا يزيد على كلمتين اثنتين (لاتغضب)، فيكرر الصحابي طلبه، فلا يزال الرسول يكرر نفس الوصية ولا يزيد عليها، وذلك لِعظم أمرها.

فبهاتين الكلمتين يشير النبي إلى خطر هذا الخلق الذميم، فالغضب جماع الشر، ومصدر كل بليّة، فكم مزق من من صلات، وقطع من أواصر وأرحام، واشتعلت به نار العداوات.

إنه غليان القلب، وهيجان المشاعر، يسري في النفس، فترى صاحبه محمَر الوجه، منتفخ الأوداج، كالبركان الثائر يقذف الحمم، يُخرج المرء عن وقاره، ويحمله على ارتكاب القبيح من السباب واللعن والضرب والإتلاف، وربما الطلاق، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو: (اللهم إني أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا)[94]. فإن الغضب إذا اعترى العبد فإنه قد يمنعه من قول الحق أو قبوله، حتى أن بعضهم كان يقول على سبيل الفخر: (ما تكلمتُ في غضبي قط بما أندم عليه إذا رضيتُ.)

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تغضب) يشمل أمرين، الأول: أن يتجنب المرء الوقوع في الغضب ابتداءً، وذلك بأن يعمل بالأسباب التي

---

[93] رواه البخاري

[94] رواه أحمد

Digitized by Google

توجب حسن الخلق من الحلم والكرم والتواضع وكف الأذى والعفو وغير ذلك، وثانياً: أن لا يعمل بمقتضى الغضب إذا وقع فيه، بل يجاهد نفسه على ترك ما يأمر به الغضب، كما قال تعالى:

{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37)}[95]

وقد سبَّ رجلٌ الإمامَ الشعبي ذات يوم فقال الشعبي: (يا هذا إن كنتَ كاذباً فغفر الله لك، وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لي.)

للغضب إذا وقع بالمرء أدوية نافعة إذا عمل بها ذهب عنه، منها: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فعن سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[96]. ومنها تغيير الحال التي عليها: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)[97]، وكذلك السكوت عن الكلام، فقد أخرج أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا غضب أحدكم فليسكت)، وكذلك الوضوء، فقال: صلى الله عليه وسلم: (إن الغضب من الشيطان،

[95] سورة الشورى

[96] متفق عليه

[97] رواه أحمد

Digitized by Google

وإن الشيطان من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ.)[98]

المؤمن القوي هو الذي يملك نفسه عند الغضب ولا ينساق له. ففي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.)

وإذا سألت عن الفارق بين الغضب والحزن؛ فإن سبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها. والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه، أما الحزن فإنه يتحرك من خارج الجسد إلى داخله، وبذلك قتلَ الحزن صاحبه لكمونه، ولم يقتل الغضب صاحبه لبروزه، فنتجَ عن الحزن المرضُ والأسقام فأفضى إلى الموت، ونتج عن الغضب السطوة والانتقام فأفضى إلى التهديد والثأر.

دعني أحكي لك قليلاً بعض ما حكاه لنا التاريخ عن (مَعن بن زائدة)، ذلك الذي يُروى أنه كان مثالاً في الحلم والكرم، ولعلهما خلقان متلازمان، فأحدهما إنفاق من مال، والآخر إنفاق من جاه.

فيُروى أن جماعة تذاكروا فيما بينهم أخباره، وماهو عليه من الحلم، فقام أحد الشعراء وقد تحداهم أن يغضبه، فقال : أنا أغيظه لكم، ولو كان قلبه من حجر، فراهنوه على مائة بعير.

---

[98] رواه أحمد

Digitized by Google

عمدَ الرجل إلى جملٍ فذبحه وسلخه، ولبس الجلد مثل الثوب، ولبس برجليه نعلين من جلد الجمل، وجلس بين يدي معن على هذه الصورة، ومد رجليه ناحية وجهه وقال:

أنا والله لا أبدي سلاماً على معن المسمى بالأميرِ

فقال له معن: إن سلمتَ رددنا عليك، وإن لم تسلم ما عتبنا عليك، فقال الشاعر:

ولا آتي بلاداً أنت فيها ولو حزت الشآم مع الثغور

فقال له معن : البلاد بلاد الله، إن نزلتَ فمرحبا بك، وإن رحلت كان الله في عونك، فقال الشاعر:

وأرحل عن بلادك ألف أجدّ السير في أعلى القفور

فقال له: مصحوباً بالسلامة، فقال الشاعر:

أتذكر إذ قميصك جلد وإذ نعلاكَ من جلد البعير

فقال له: أعرف ذلك ولا أنكره، فقال الشاعر:

ونومك في الشتاء بلا رداء وأكلك دائما خبز الشعير

فقال: الحمد لله على كل حال، فقال:

وفي يمناك عكاز قوي تذود به الكلاب عن الهرير

فقال له: ما خفي عليك خبرها، إذ هي كعصا موسى، فقال:

فسبحان الذي أعطاك مُلكاً وعلمك القُعودَ على السرير

Digitized by Google

فقال له معن : بفضل الله لا بفضلك، فقال:

فعجّل يا بن ناقصةٍ بمالٍ فإني قد عزمتُ على المسيرِ

فأمر له معن بألف دينار، فقال الشاعر:

قليل ما أمرتَ به فإني لأطمعُ منك بالشيء الكثير

فأمر له بألف دينار أخرى !، فقال الشاعر:

فثَلِّثْ إذ ملكت الملك رزقاً بلا عقلٍ ولا جاهٍ خطير

فأمر له بثلاثمائة دينار.

وبعد أن استنفذ كل الوسائل محاولاً إغضابه قال مادحاً:

سألتُ الله أن يبقيك ذخراً فما لك في البرية من نظير

فمنك الجود والإفضال حقاً وفيضُ يديكَ كالبحر الغزير

ثم اعتذر له بأن الحامل له على هجوه المائة بعير التي صار الرهن عليها في نظير إغاظته له، فأمر له بمائة بعير يدفعها في نظير الرهن، ومائة بعير أخرى لنفسه، فأخذها وانصرف!

وتروي كتب التاريخ أيضاً أن معن بن زائدة هذا قد خرج يوماً في صيد فعطش، فلم يجد مع غلمانه ماء، فبينما هو كذلك إذا بثلاث جوارٍ قد أقبلن حاملات القِرَب فسقينه، فطلب شيئاً من المال مع غلمانه فلم يجد، فدفع لكل واحدةٍ منهن عشرة أسهم من كنانته نصولها من ذهب.

فقالت الأولى:

Digitized by Google

يُركّب في السهام نصول تبر ويرمي للعدا كرماً وجودا
فللمرضى علاجٌ من جراحٍ وأكفانٌ لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية:

ومحاربٌ من فرط جود بنانه عمّت مكارمه الأقارب والعِدا
صيغت نصول سهامه من كي لا يقصر في العوارف

وقالت الثالثة:

ومن جوده يرمي العداة بأسهمٍ من الذهب الإبريز صيغت
لينفقها المجروح عند انقطاعه ويشتري الأكفان منها قتيلها

معن بن زائدة هو الذي مدحه الشاعر، واصفاً كرمه بأبيات هي أبلغ وأجمل وأروع ماقيل في الكرم والجود والعطاء:

يقولون معنٌ لا زكاة لماله وكيف يُزكّي المالَ من هو باذله
إذا حال حولٌ لم تجد في داره من المال إلا ذكرُه وجمائُله
تراه- إذا ما جئتَه- متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
هو البحر من أي النواحي أتيتَه فلجّته المعروف والبِر ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجادَ بها، فليتقِ الله سائله

وقد يكون المعروف بركاناً من حنان، يُفيضه الرجل على زوجته حين تحتاج هي إليه، أو قبس من حلم يطوّقها به حين تجنح بها عاطفتها المتأرجحة

Digitized by Google

ومزاجها المتقلب، أو عفواً من كريم حين تتطاول عليه في زلة لسان أو هفوة جنان غير مقصودة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضى، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.)[99]

إني لأمنحك الصدودَ وإنني قسماً إليك مع الصدود لأميلُ

وقد يكون المعروف ابتسامة مشرقة من زوجة محبة تلقى بها زوجها حين يعود متعباً أو مكدوداً، أو جلسة مؤنسة تخفف بها عنه عناء العمل، أو أخرى حميمة حين تلمح بذكائها الأنثوي أنه يحتاجها، أو كلمة مطيعة تقولها في انكسار مصطنع، حين تشعر أن الحوار بينهما قد انحرف بعيداً عن التفاهم وأخذ منحى جارفاً نحو العناد.

[99] رواه البخاري مسلم

Digitized by Google

مظاهر صُنع المعروف

نصيحة

قد يكون المعروف تصيحة مخلصة، أو مشورة صادقة يهديها المسلم لمن يطلبها أو يحتاج إليها؛ فيستبين له بها ما استغلق عليه من فهم، او خفي عليه من علم، فتنير له طريقاً كان مظلماً، وتشرح صدراً كان ضيقاً.

النصيحة بعطيها ويبذلها عن طيب خاطر كل من انضجته السنون، واعترك الحياة، فنال من خبراتها وتجاربها.

النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا صفّيته، ونصح الشيء إذا خَلُص، ونصح له القول إذا أخلصه له، فهي كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له.

وهي من هدي المرسلين، وسنن النبيين. هكذا حكى القرآن عن نوح وهود وصالح وشعيب في سورة الأعراف، قال تعالى:

{لقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلأ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ

Digitized by Google

الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (62)}[100]

وقال سبحانه عن هود:

{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (68)}[101]

وقال تعالى يحكي عن صالح:

{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79)}[102]

وقال تعالى يحكي عن شعيب:

{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (93)}[103]

---

[100] سورة الأعراف

[101] سورة الأعراف

[102] سورة الأعراف

[103] سورة الأعراف

Digitized by Google

قال صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة. قالو لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.)[104]

فالنصيحة لعامة المسلمين- كما قال العلماء- هي الشفقة بهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لها.

قال صلى الله عليه وسلم: (حق المسلم على المسلم ست) ومنها (وإذا استنصحك فانصح له)[105]

قال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (بايعت رسول الله على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.)[106]

ومن جميل ما قالوا: (المؤمن يستر وينصح، والمنافق يهتك ويُعيّر ويفضح.)

وقالوا كذلك:(ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة.)

وللنصيحة آداب ينبغي أن تُراعى حتى تؤتي ثمارها، منها إخلاص النية لله تعالى، وأن تريد الخير للمنصوح له، وهذا مقتضى ومعنى النصيحة،

---

[104] رواه مسلم عن تميم الداري رضي الله

[105] رواه مسلم

[106]

Digitized by Google

والصبر على ما يكون منه من جفوة خاصة في البداية، حتى يتبن له صدقها.

ومنها أن تكون النصيحة برفق ولين فما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه، وأن تكون سراً فمن وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

تعمدني بنصحك في انفرادي وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي فلا تجزع إذا لم تُعط طاعة

ومنها كذلك اختيار العبارات الطيبة والأساليب الحسنة، فكلمة الحق قد يعتريها سوء تعبير.

تقول هذا جَنى النحـــل وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابيرِ
مدحاً وذماً وما جاوزت والحق قد يعتريه سوء تعبير

على الناصح كذلك أن يتَحَيّن فرص الاستعداد لدى المنصوح له، لأن المرء تعتريه أوقات يتغير فيها مزاجه، ويضيق فيها صدره. وأخيراً ما أجمل أن يتقدم النصيحة مدح أو ثناء- ولا يخلو إنسان من أحدهما- يستطيب به قلب المنصوح له، ويستأذن به عليه، فإنه أدعى للقبول. هل تريد أمثلة على ذلك؟ إليك هذان:

Digitized by Google

جاء في صحيح البخاري عن أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه أنه دخل المسجد ذات يوم والنبي صلى الله عليه وسلم راكع، فركع دون الصف ثم دخل في الصف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (زادك الله حرصا، ولا تَعُد.)

وقال صلى الله عليه وسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه:(نعم الرجل عبدالله، لو كان يقوم الليل.)[107]

[107] رواه البخاري ومسلم

Digitized by Google

مظاهر صُنع المعروف

طلاقة الوجه (ابتسامة)

قد يكون المعروف ابتسامة صادقة يهديها المسلم لكل من يراه، ويمنحها لكل من يلقاه، فهي مفتاحٌ للقلوب، أثرها يخترق الأفئدة، ويسلِبُ العقول، ويُذهب الأحزان، ويصفّي النفوس، ويكسر الحواجز، ويزيل الوحشة. هي البلسم الناجع، والدواء النافع في ترويح النفوس وطرد الآلام وتخفيف الأحزان. تذيب الجليد، وتنشر الارتياح. إنهاحقاً مفتاح العلاقات الانسانيه الصافية.

يقول جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (ما رآني رسول الله- صلى الله عليه وسلم- منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي.)[108]

وقال صلى الله عليه وسلم: (وتبسمك في وجه أخيك صدقة.)[109]

(كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق.)[110]

(إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق.)[111]

---

[108] رواه البخاري

[109] رواه البخاري في الأدب الفرد

[110] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

[111] رواه مسلم

Digitized by Google

عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: (ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم.)[112]

هشّت لك الدنيا فمالَك واجماً وتبسَمَتْ فعلام لا تتبسمُ
إن كنت مكتئباً لعزٍ قد مضى هيهات يُرجعه إليك تَندُم

ويقول إيليا أبو ماضي:

قال السماء كئيبة وتجهما قلت ابتسم يكفي التجهم في السما
قال العِدا حولي علتْ صيحاتهم أأُسرّ والأعداء حولي في الحما
قلت ابتسم لم يطلبوك بذمهم لو لم تكن منهم أجلَّ وأعظما
قال المواتم قد بدت أعلامها وتعرضت لي في الملابس والدمى
وعليّ للأحباب فرضٌ لازمٌ لكن كَفي ليس تملك درهما
قلت ابتسم يكفي بأنك لم تزل حياً ولست من الأحبة مُعدما
قال الليالي جرعتني علقماً قلت ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك إن رآك مرنماً طرح الكآبة جانباً وترنما
أتُراك تغنم بالتبرم درهما أم أنت تخسر بالبشاشة مغنما
يا صاح لا خطرٌ على شفتيك أن تتلثما والوجه أن يتحطما
فاضحك فإن الشهب تضحك متلاطمٌ ولذا نحب الأنجما

[112] رواه الترمذي

Digitized by Google

وقال بعضهم: (البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هيّن: وجه طليق وكلام ليّن.)

ويقول حاتم الطائي:

أُضاحِك ضيفي قبل إنزالِ رَحلْهِ ويخصبُ عندي والمحلُ جديبُ
وما الخِصبُ للأضيافِ أن يَكثُر ولكنَّما وجه الكريمِ خَصيبُ

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : (وقع عليّ من الهمّ ما لم يقع على أحد، فبينما أنا أسير مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في سفرٍ قد خَفَقتُ برأسي من الهمّ، إذ أتاني رسول الله فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا.)[113]

وحتى في حال غضبه- صلى الله عليه وسلم- لم يبخل على أصحابه بابتسامة، حتى لو كانت من مُغضَب، يقول كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن غزوة تبوك: (فجئتُه- أي النبيَ صلى الله عليه وسلم- فلما سلّمتُ عليه تبسّم تبسُّم المغضب.)[114]

[113] رواه الترمذي
[114] رواه البخاري

Digitized by Google

مظاهر صُنع المعروف

كف الأذى

أقلّ المعروف وأهونه أن يكف الإنسان أذاه عن غيره من الكائنات، سواء كان هذا الأذى يتعلق بالمال، أو النفس، أو العرض. فمن لم يكف أذاه عن الخلق فليس حَسن الخُلق، بل هو سيئ الخُلق.

قال صلى الله عليه وسلم: (إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا)[115]

وقال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جارُه بوائقه)[116]، والبوائق هي الشرور.

وقال: (على كل مسلم صدقة) وفي آخره.. قال: فإن لم يفعل؟ قال صلى الله عليه وسلم: (فليمسك عن الشر فإنه له صدقة.)[117]

فالمؤمِن سَهل العَرِيكة، جميل العِشرة، حَسَن التّعامُل، لَيِّن الجانب، يبذل النّدى، ويكفّ الأذى.

---

[115] رواه البخاري

[116] رواه البخاري

[117] رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري

Digitized by Google

كفُّ الأذى هو أفضل خِصال الإسلام، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال:(من سلم المسلمون من لسانه ويده.)[118]

عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: صَعد رسول الله المنبر فنادى بصوتٍ رفيع فقال: (يا معشر من أسلم بلسانه و لم يُفضِ الإيمان إلى قلبه، لا تُؤذوا المسلمين، ولا تعيِّروهم، ولا تتَّبعوا عَوراتهم؛ فإنّه من تتبَّع عَورة أخيه المسلِم تتبَّع الله عورتَه، ومن تتبَّع الله عورته يفضَحه ولو في جوف رحلِه.)[119]

وما أجملَ قول من قال: (لِيَكن حظُّ المؤمن منك ثلاث: إن لم تَنفعه فلا تضرَّه، وإن لم تُفرحه فلا تغمَّه، وإن لم تمدَحه فلا تذمَّه.)

حري بالمسلم كذلك ألا يكون سبباً في صرف الناس عن صنع المعروف، تسألني: وكيف يكون ذاك؟ حين يخدع الناس ويحتال عليهم موهماً إياهم أنه مستحق للمعروف، ثم يتبين لهم غير ذلك، حينئذً يتردد الناس في عمل الخير مخافة الوقوع في الشَرَك. وإليك هاتان القصتان:

يُحكى أن رجلاً كان يركب حصاناً، يريد الوصول إلى بلدة ما، وفي الطريق رأى رجلاً ماشياً على قدميه، وقد حمل على ظهره حاجياته، فرقّ له قلبه، وحمله خلفه على الحصان، وبعد مدة من المسير توقف الفارس لقضاء حاجته،

---

[118] متفق عليه

[119] أخرجه الترمذي

Digitized by Google

وما إن ابتعد عن حصانه، حتى رأى الراكب وقد لوى عنق الحصان، واقتلع اللجام من الأرض، وابتعد هارباً وهو يقول: (أيها الرجل أخذت حصانك)، فناداه الفارس وقال له: (أيها الغريب، ناشدتك الله أن لا تُحَدث أحداً بهذا .. حتى لا يضيع المعروف بين الناس.)

ويُروى أنه في عهد عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أن ثلاثة نفرٍ جاؤا إليه بشاب وقالوا: يا أمير المؤمنين، اقتص لنا من هذا الرجل فقد قتل أبانا.

فقال عمر للشاب: لِمَ قتلتَه؟

فقال: إني راعى إبل، وأعز جمالي أكل من شجرة في أرض أبيهم، فضربه بحجر فمات، فامسكت بالحجر وضربتُ به الرجل فمات.

قال عمر: إذاً فالقصاص.

قال الشاب: أمهلني ثلاثة أيام، فقد مات أبي وترك لي كنزاً أنا وأخي الصغير، فإذا قتلتني ضاع الكنز وضاع أخي من بعدي.

فقال عمر: ومن يضمنك؟

فنظر الرجل في وجوه الناس، فقال: هذا الرجل. (يقصد أبا ذر الغفارى) فقال عمر بن الخطاب : هل تضمنه يا أبا ذر؟

Digitized by Google

فقال أبو ذر : أفعل يا أمير المؤمنين.

فقال عمر بن الخطاب : إنك لا تعرفه، وإن هرب أقمت عليك الحد.
فقال أبو ذر: بل أضمنه يا أمير المؤمنين.

ورحل الرجل، ومر اليوم الأول والثاني والثالث، وقبل صلاة المغرب بقليل جاء الرجل وقد ظهر عليه التعب والإرهاق، ووقف بين يدي أمير المؤمنين وهو يلهث.

قال الرجل : لقد سلمت الكنز لأخي ولأخواله، وجئت من أجل القصاص.
فتعجب عمر، وقال: ما الذي أرجعك وقد كان لك ألا تعود؟

فقال الرجل : خشيت أن يقال ضاع المعروف وذهب الوفاء بالعهد من الناس.

فسأل عمر أبا ذر: لِمَ ضمنتَه وأنت لا تعرفه؟

فقال أبو ذر : خشيتُ أن يقال قد ذهبت المروءة من الناس.

فتأثر أولاد القتيل وقالوا: لقد عفونا عنه، فإنا نخشى أن يقال قد ذهب العفو من الناس.

Digitized by Google

وقد حكى لنا التاريخ قصة مشابهة عن النعمان بن المنذر، فقد كان النعمان- وهو أحد أشهر ملوك المناذرة- ملكاً على الحيرة (582-609 م) بالعراق أيام الجاهلية قبل الإسلام، وكان له يومان من كل عام: يوم نعيم، يرتدي فيه ثياباً زاهية ويبالغ في إكرام أول من يقدم عليه، ويوم بُؤسٍ، يرتدي فيه ثياباً سوداء، ويأمر بقتل أول من يأتيه زائراً أو يطلب حاجة.

وذات يوم جاء رجل بدوي وطلب مقابلة الملك، عرف النعمان الرجل، فهو (حنظلة الطائي) الذي أضافه يوم ضلّ الطريق في الصحراء هو ورفيقه، وحنظلة يومئذ لا يعرف من يكونان، وقد وعده النعمان يومها بالمعونة.

ولكن الملك بدلا من أن يكرمه أصر على قتله، لأنه جاء في يوم البؤس! فلا بد أن تستمر العادة مهما كان الثمن.

فقال الطائي: أنا رهن إرادتك أيها الملك، لكن لي عيالاً تنتظرني، فاسمح لي بالعودة إليهم لأوصي بهم وأودعهم قبل موتي، وأعدك بالرجوع في مثل هذا اليوم من الأسبوع المقبل. فقال النعمان: أسمح لك على أن يكفلك شخص يرضى بالموت مكانك إذا تخلّفت عن الحضور.

نظر حنظلة في وجوه الحاضرين، واستقرت عيناه المتوسلتان على عيني (شُريك بن علي بن شرحبيل) نديم النعمان ورفيقه يوم ضيفهما وكرّمهما.

وبعد لحظة قال شريك: أنا أكفل رجوعه أيها الملك.

أخذ الحراس الوزير رهينة، وفي اليوم السابع تدفقت الجموع إلى ساحة الموت. وقبل الغروب وصل النعمان وحاشيته، وبدا القلق على وجوه الجميع، هل سيعود حنظلة في الوقت المحدّد؟ أم هل يقتل الملك رفيقه شُريكاً؟

Digitized by Google

وحين قاربت الشمس على المغيب، رفع الملك يده، فاستلّ الجلاّد سيفه، فانحبست الأنفاس، وجفت الحناجر، وتناقلت الناس نظراتها بين المغيب ويد الملك وسيف الجلاد.

حينئذ رأوا غباراً من بعيد، وإذا بجواد يعدو كالبرق، ويقف فجأة بين الجموع، فترجّل صاحبه صارخاً: ها أنا حنظلة قد عدتُ، أطلقوا شُريكاً.

انفرجت أسارير الملك، وسأل شريكاً: لِمَ جازفت بحياتك وضمنته؟

أجاب: لقد عزّ عليّ أيها الملك أن يشاع بأن الوفاء والمروءة قد فُقدا من مملكة النعمان.

والتفت إلى الطائي وسأله: بربك قل لي ما الذي حملك على الرجوع؟

فأجاب حنظلة: أخلاق عربية ترفض الغدر، ووفاء نبيل أقوى من الموت.

فأطرق النعمان، ثم رفع رأسه وقال: والله ما رأيت أعجب منكما، أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يقوم فيه بعدك، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يُذكر بها في الكرماء. فلا أكون أنا ألأم الثلاثة (أي أكثرهم لؤماً)، ألا وأني قد رفعتُ يوم بؤسي عن الناس، ونقضتُ عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك.

Digitized by Google

سَدِّد المعروفَ إلى ثلاثةٍ آخرين!

Digitized by Google

سَدِّد المعروف إلى ثلاثة آخرين

تحت هذا العنوان الغريب نوعاً، والذي يتحدث عن محور هام من محاور هذا الكتاب، نتحدّث عن آداب صنع المعروف لكل من صانعه والمصنوع له.

إن من أولى الآداب الواجبة على من صُنع له معروف، هو شكر المولى-سبحانه- فهو المنعم المتفضّل، وهو الذي خلق وبرأ ورزق، وهو الذي وفّق صانع المعروف لما صنع.

قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ (152)}[120]

لقد أمَرَ الله- تعالى- بالشّكر ونهى عن ضدِّه، وهو كفر النعمة. وأثنى علَى أهلِه، ووصَفَ به خواصَّ خلقه، ووعَد أهلَه بأحسن جزاء، وجعله سبباً للمزيدِ من فضلِه، واشتقَّ له اسماً مِن أسمائه، فسمّى نفسه شاكِراً وشكورًا. وحقيقةُ الشكر هي الاعترافُ بالإحسان والفضلِ والنّعَم، وذِكرُها والتحدُّث بها، وصَرفها فيما يحبّ ربُّها ويرضَى واهبها.

---

[120] سورة البقرة

Digitized by Google

شُكرُ العبد لربِّه يكون بظهورِ أثَر نعمتِه عليه، فتظهَر في القلب إيماناً واعترافاً وإقرارًا، وتظهَر في اللسان حمدًا وثناء وتحدّثاً بفضل الله عليه، وتظهَر في الجوارح عبادةً وطاعة واستعمالاً في مَرضاة الله.

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)}[121]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172)}[122]

{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12)}[123]

فالشُكر هو الاعتراف بنعمة المُنعِم على وجه الخضوع، وإضافة النِّعم إلى مُوليها، والثناء عليه بذكر إنعامه، وعكوف القلب على محبته، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره.

فمن شكر بلسانه و لم يشكر بجوارحه، كمثل رجل له كساء، أخذ بطرفه و لم يَلبسْه، فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والمطر.

قال تعالى: {... اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)}[124]

---

[121] سورة إبراهيم

[122] سورة البقرة

[123] سورة لقمان

Digitized by Google

إن الشكر بالجوارح يكون بإسداء ذات المعروف الذي صُنع له إلى آخرين، حين يتيسر له ذلك، دَيناً يحمله على عاتقه يمشي به بين الناس، يبحث عمن يحتاج إلى ذات المعروف فيسديه إليه، حتى يسدده إلى ثلاثةٍ من العباد.

ليس بالضرورة أن يكون ذلك سبيل الفور، بل قد يكون على سبيل التراخي، حين يستطيع هو ذلك، وحين يجد من يحتاجه من الخلق.

تخيل معي لو أن كل إنسان صُنع له معروف؛ كإغاثة حين لهفة، أو إقالة من عثرة، أو إرشادٍ في وقت ضلالة، أو سترٍ لعيب، أو تنقيس لكرب، تخيل لو أنه فعل ذلك مع ثلاثة آخرين. أقول لك- وأقسم عليه- إن هذا الخير المتدفق بتلك المتوالية الهندسية المتزايدة الرائعة كفيل بأن يغير العالم من حولنا.

تخيل معي لو أن كل إنسان صُنع له معروف أدّاه إلى ثلاثة، ثم كل واحد من هؤلاء الثلاثة أدّاه إلى ثلاثة آخرين، وهكذا إلى ما شاء الله، فلن ينقطع المعروف أو يفنى الخير.

من الواجب كذللك على من صُنع له معروف أن يشكر من أسداه إليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)[125]

---

[124] سورة سبأ

[125] رواه أبو داود والترمذي و قال حديث حسن صحيح

Digitized by Google

حق ذي المعروف أن تشكره، وتذكر معروفه وتنشر له المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين اللّه، فمن فعل ذلك فقد شكره سرا وعلانية، ثم إن أمكن مكافأته يوماً فكافئه. قال بعض الحكماء: (إذا قَصُرت يدك عن المكافأة فليَطُل لسانك بالشكر.)

قال صلى الله عليه وسلم: (من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجيروه، ومن آتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه.)[126]

وقال: (من صُنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء.)[127]

إذا كان لا ينبغي لصاحب المعروف أن ينتظر من الناس جزاء أو شكوراً، فإنه لا ينبغي للمحسَن إليه أن يقابل الإحسان بالإساءة، أوالإكرام بالجحود. إن مكافأة المحسِن خلق فطري ينشأ من خلق الوفاء؛ إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والمؤمن لا يكون شاكراً لله حتى يكون معترفا بالفضل لأهله. وليس المؤمن بناكر الجميل الذي لا يهزه فيض الإكرام والإنعام، بل إن نفحة من الإحسان كافية لأن تثير فيه دواعي الشكر والمكافأة.

---

[126] رواه النسائي وأبو داود

[127] رواه الترمذي

Digitized by Google

أمّا أولئك الذين يَلقون الإساءة جزاء الإحسان، فلهم عزاء في الحديث الذي جاء فيه أن رجلاً قال: (يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفهم الملّ (أي التراب) ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك.)[128]

من الآداب كذلك على من صُنع له معروف أن أن يقبل المعروف الذي أسدي إليه، وألا يتحرج في قبوله، خاصة إذا جاء بلا مسألة أو استشراف نفس من جانبه، وبلا تكلف أو حياء من صاحبه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بلغه معروف عن أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده، فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه.)[129]

حري بطالب المعروف إذا اضُّطر إلى طلبه أن يفعل ذلك مع الكريم، وأن يتجنب البخيل أو اللئيم، أما الكريم فسوف تكفيه الإشارة والتلميح، أما الثاني فيلزمه الصبر والإلحاح.

وإذا طلبت إلى كريمٍ حاجةً فلقاؤه يكفيك والتسليم
وإذا طلبت إلى لئيمٍ حاجةً فألّحّ في رفقٍ وأنت مُديم

---

[128] رواه مسلم

[129] رواه أحمد

Digitized by Google

الكريم يُغيثك كالندى في رقّته أو كالسيل المنحدر في عطائه:

قاضي القضاة جمعت للزهد فغدوتَ في الحالين تبعث بالولي
تأتي هباتك كالسيول لنا ولا عَجبٌ لسيلٍ حين يأتي من علِ

أما اللئيم فيكفيك منه القليل، ولربما وقعت على ابن صمادح، أو من يماثله في البخل، فيكون نصيبك منه حبة خردل أو أكثر قليلاً!

ياطالب المعروف دونك فاتركنْ دار المرية وارفض ابن صمادحِ
رَجُلٌ إذا أَعْطَاكَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ ألقاك في قيد الأسير الطائح
لو قد مَضَى لكَ عُمْرُ نُوحٍ عِنْدَهُ لا فرق بينك والبعيد النازح

أما الآداب الواجبة على صانع المعروف فكثيرة؛ أهمها وأعظمها إخلاص العمل لله تعالى وحده، قال تعالى: {... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)}[130]

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (10)}[131]

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى (14) لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا

[130] سورة الكهف
[131] سورةالإنسان

Digitized by Google

لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)}[132]

إن من علامة الإخلاص أن يكون أصل العمل لله، أي يكون الباعث على العمل هو طلب رِضا الله، والفوز بجنّتِه، واستواء المدح والذم من الناس، ونسيان رؤية الأعمال، واقتضاء ثوابها في الآخرة.

من الآداب الواجبة على صانع المعروف كذلك أن يبذله لمن يحتاج إليه من إنسان أو حيوان، وأن يبذله للبر والفاجر، بل والكافر أيضاً، فالرحمة في قلب المؤمن تسع جميع الخلق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة.)[133]

عليه أن يبذل المعروف فوراً دون إبطاء أو تأجيل أو تسويف أو تأخير، فصاحب الحاجة ملهوف. إنّ المعروف يصيبه كَلف في وجهه إذا ما أُخّر، أو ماطل مسديه من احتاج إليه، لأن المعروف عبء على من يُسدَى له؛ فكيف

---

[132] سورة الليل

[133] رواه مسلم

Digitized by Google

إذا جاء بعد عَنَت أو تأخير. واجبٌ أن يُؤدَى المعروف دون إبطاء، فخير البر ما كان عاجلاً، والإبطاء في العدل أو الفضل نقص وجَوْر.

يَاصَانِعَ الْمَعْرُوْفِ كُنْ تَارِكاً تَرْدَادَ ذِيْ حَاجَةٍ فِيْ
فَشَرُّ مَعْــرُوْفِكَ مَمَطُــولُهُ وَخَيْرُهُ مَا كَانَ مِنْ سَاعَتِــهِ
لِكُلِّ شَيْءٍ يُــرتَجَى آفَــةٌ وَحَبسكَ الْمُعْرُوْف مِنْ آفِتِه

وكما قيل: (لا يتم المعروف إلا بثلاث، تعجيله وتصغيره وستره، فإنه إذا عجّله هنَّأه، وإذا صغَّره عظّمه، وإذا ستَره تَمَّمه.)

حريٌّ بصانع المعروف ألا يضجر ممن رَفع إليه حاجته، خاصة إذا كان قادراً على العطاء، وإلا فكلمة اعتذار رقيقة كفيلة بتطييب قلب صاحب الحاجة. عليه أن يحمد الله- عزّ وجلّ- أن جعل على يديه تُقضى حوائج الخلق، وأنّ إليه تُرفع الحوائج لا منه.

الناس بالناس مادام الحياة بهم والسعد لاشك تارات وهبّاتُ
لاتمنعنّ يد المعروف عن أحد مادمت مقتدراً فالسعد تارات
وأفضل الناس ما بين الورى رجلٌ تُقضى على يده للناس حاجات
واشكر فضائل صنع الله إذ جُعلت إليك لا لك عند الناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

Digitized by Google

قال ابن عباس: (ثلاثة لا أكافئهم [أي لا أجد ما أكافئهم به]: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسّع لي في المجلس، ورجل اغبّرت قدماه في المشي إرادة التسليم علي، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله عز وجل، قيل فمن هو؟ قال: رجل نزل به أمرٌ فبات ليلته يفكر بمن ينزله، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي.)

عَوائِق صُنع المعْروف

Digitized by Google

عوائق صنع المعروف

يتردد بعض الناس في صنع المعروف لأسباب عديدة، يتمنى أحدهم صنع المعروف، لكنه يحس في نفسه تذبذباً بين الإقبال والإدبار؛ فالقلب مملوء بنوازع الخير ويأمره بها، والعقل ينهى لما رسخ فيه من بعض الإعتقادات الخاطئة التي تصرف النفس عن ذلك.

فقد رسخ في اعتقاد البعض أموراً تصرف الكثيرين منهم عن صنع المعروف وعمل الخير، منها:

أولا: استصغار المعروف أو احتقاره

Digitized by Google

البعض قد يستهين بالشيء الصغير يريد فعله، يظنه سهلاً ميسورًا، أو قليلاً تافهًا، معتقدًا أن المعروف لابد أن يكون عظيم النفع جليل القيمة والقدر وإلا فلا، فقد يستقلّ الصدقة القليلة، أو يستهين بالهدية الصغيرة، فيحجم عن إعطائها إما خجلاً وإما حياءاً.

إن قَدْر المعروف لا يقاس بمقداره عندك، بل بقدر احتياج من يُبذل له، فقد يحتاج غيرك إلى ابتسامة صادقة، أو نصيحة مخلصة، أو صدقة قليلة، أو هدية رقيقة يكون لها مفعول السحر على النفس.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرسِن شاة.)[134]

والفِرسِن (بكسر الفاء والسين) هو من البعير كالحافر من الدابة، والمقصود أنه عظم قليل اللحم.

وعن أبي جريٍّ الهجيميّ قال أتيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فقلت: يا رسول اللّه إنّا قوم من أهل البادية فعلّمنا شيئًا ينفعنا اللّه تبارك وتعالى به قال: (لا تحقرنّ من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تكلّم أخاك ووجهك إليه منبسط.)[135]

وقال: (كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى اخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك.)[136]

---

[134] رواه البخاري ومسلم

[135] رواه أحمد

[136] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

Digitized by Google

وقال: (اتقوا النار ولو بشق تمرة.)[137]

وفي رواية: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه تَرْجمان فينظر أيمنَ منه، فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تِلقَاءَ وجهه، فاتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة.)[138]

وقال: (سبق درهم مائة ألف درهم، فقال رجل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها، ورجل ليس له إلا درهمان، فأخذ أحدهما فتصدق به.)[139]

ثانيًا: الخوف من أن يقع المعروف في غير أهله

وهذا من أكبر العوائق التي تحول بين المرء وصنع المعروف، فتراه يتردد مخافة أن يقع المعروف في يد من لايستحقه، أو مخافة أن يتبين فيما بعد أنه غني يخفي غناه ويظهر العَوَز.

كذلك يظن البعض ان المعروف ينبغي ألا يكون إلا لتقي، أو مؤمن ظاهر الإيمان، حتى إن بعضهم ليتروَى كثيرًا في صنع المعروف حتى يتبين له حقيقة المصنوع له، ويمر الزمان ولا يتبين له شيء، ويضيع معه المعروف.

---

[137] متفق عليه

[138] متفق عليه

[139] رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم

Digitized by Google

إن المعروف يُهدى على الفور دون إبطاء لمن يحتاجه، سواء كان مالاً أو جاهاً أو علماً أو نصيحة، فالرحمة في قلب المؤمن تسع جميع الخلق.

بعض الناس قد يتعلل في ترك فعل المعروف بما يقع في أحيان كثيرة من استغلال بعض المحتالين أو اللصوص لرغبة الناس في فعل الخير وبذل المعروف، فيتقاعس هؤلاء متعللين بكثرة المحتالين والمدّعين، يقولون نخشى أن نقع ضحية لبعض هؤلاء فنجرّ على أنفسنا ندامة أوحسرة.

وبرغم أن هذا فيه شيء من الصواب، إلا أن هذا لا ينبغي أن يكون مانعاً من فعل الخير وبذله، ومن يراعي جانب ما يحصل من حوادث ويُغفل كثيراً من صور بذل المعروف الجميلة يكون مسرفاً في التشاؤم، ولو أن الجميع تبنى هذا الفكر لفسدت معايش الناس.

المطلوب أن يتعامل الجميع بإيجابية وفاعلية؛ فيبادروا إلى فعل الخير وبذل المعروف، مع التيقظ والفطنة لمن يحاول خداعهم أوالاحتيال عليهم، مع تنبيه الناس على أن الخير هو الأصل، وأن الصادقين كثير، فمن خُدِعَ- والمرء لا يسلم من ذلك- فليس عليه من بأس، وليتذكر حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين قال: (قال رجل: لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق! لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد، على زانية! لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق

Digitized by Google

وعلى زانية وعلى غني! فأُتي فقيل له: أما صدقتك على سارق، فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية، فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني، فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله.)[140]

فإن أبى بعض الناس إلا أن يكون سوء الظن غالباً حتى جعله أصل التعامل، فعليه أن يحتفظ بذلك لنفسه، وألا يمنع غيره من الإقبال على فعل الخير، عسى أن يكون ذلك من باب الإمساك عن الشر الذي جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (على كل مسلم صدقة) قيل له في آخره: فإن لم يفعل؟ قال: (فليمسك عن الشر فإنه له صدقة.)[141]

ثالثًا: استبطاء الثمرة

من العوائق كذلك أن يتكاسل المرء عن صنع المعروف مخافة ألا ينتفع به أحد، خاصةً إذا كان من النفع العام، كغرس شجرة تثمر بعد وقت طويل، أو مشروع خيري يستبطأ صاحبُه نتائجه.

لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصنع المعروف حتى لو كان يظن صاحبُه أن أحدًا قد لا يستفيد منه.

---

[140] متفق عليه

[141] رواه البخاري

Digitized by Google

ولا أدل على هذا المعنى من ذلك الحديث الرائع الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل.)[142]

هكذا ترى أن بذل المعروف يجب ان يمتد إلى آخر لحظة من لحظات العمر، إلى آخر خطوة من خطوات الحياة، يغرس الفسيلة والقيامة توشك أن تقوم هذه اللحظة عن يقين.

يقول محمد قطب: (أول ما يخطر على البال من هذا الحديث هو هذه العجيبة التي يتميز بها الإِسلام أن طريق الآخرة هو طريق الدنيا بلا اختلاف ولا افتراق. إنهما ليسا طريقين منفصلين: أحدهما للدنيا، والآخر للآخرة، وإنما هو طريق واحد يشمل هذه وتلك، ويربط ما بين هذه وتلك، ليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة، وطريق للدنيا اسمه العمل، وإنما هو طريق واحد أوله في الدنيا وآخره في الآخرة. قد مرَّ على الناس وقت كانت يحسون فيها بالفُرقة بين الطريقين، يعتقدون أن العمل للآخرة يقتضي الانقطاع عن الدنيا، والعمل للدنيا يزحم وقت الآخرة).

ومن لطيف ما يُحكى أن ملكاً خرج يوماً يتصيد، فوجد شيخاً كبيراً يغرس شجر الزيتون، فوقف عليه وقال له: يا هذا أنت شيخ هَرِم؛ والزيتون لا يثمر إلا بعد ثلاثين سنة، فلمَ تغرسه؟ فقال: أيها الملك زرعَ لنا من قبلنا

[142] رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب المفرد

Digitized by Google

فأكلنا، فنحن نزرع لمن بعدنا فيأكل. فأعجبه كلامه، فقال: أعطوه ألف دينار، فقال الشيخ: أيها الملك شجر الزيتون لا يثمر إلا في نحو ثلاثين سنة، وهذه الزيتونة قد أثمرت في وقت غراسها، فقال الملك: زيدوه، فأعطى ألف دينار، فقال له: أيها الملك شجر الزيتون لا يثمر إلا في العام مرة، وهذه قد أثمرت في وقت واحد مرتين، فقال له: زيدوه، فأعطى ألف دينار أخرى، وساق جواده مسرعاً، وقال: إن أطلنا الوقوف عنده نفد ما في خزائننا.

رابعاً: ألا يجد صانعُ المعروف معاملةً بالمثل

فقد يصنع أحدهم معروفاً لشخص بعينه ثم يجد منه جحوداً أو صدوداً، فيمنعه ذلك لاحقاً من صنع المعروف معه، ولربما مع الآخرين، اعتقاداً منه أن النكران هو عاقبة المعروف.

مما لا شك فيه أنَّ نكران الجميل، وجحود النِّعمة يدُلُّ على ضعف الوَعْي، وقلة العلم، وانعدام المروءة، وعدم الوفاء لله الذي تفضَّل بالنعمة، ثُمَّ لمن وفَّقه الله – تعالى– لأَنْ يُسْدِي المعروف.

فَأَنْ يُسدَى معروفٌ ويُصنَع جميلٌ، ثم يُقابل هذا المعروف والجميل بالإساءة، فهذا مما يُسبِّب الإحباطَ لدى بعض الناس، وربَّما يدفعهم إلى تغيير ما كانوا عليه من سلوك وخلق، وربما مقابلة الإساءة بمثلها.

Digitized by Google

اعمل الخير لوجه الله تعالى لأنَّك الفائز على كلِّ حال، ثم لا يضر عملك تعظيم من عظّمه، ولا جحود من جحده، واحمد الله لأنَّك المحسن وهو المسيء، واليدُ العليا خير من اليد السُّفلى.

فال تعالى:

{وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)}[143]

أي ولا يحلف أهل الفضل في الدين والسَّعَة في المال على ترك صلة أقربائهم الفقراء والمحتاجين والمهاجرين، ومنعهم النفقة؛ بسبب ذنب فعلوه، ولْيتجاوزوا عن إساءتهم، ولا يعاقبوهم. ألا تحبون أن يتجاوز الله عنكم؟ فتجاوزوا عنهم. والله غفور لعباده، رحيم بهم. وفي هذا الحثُّ على العفو والصفح، ولو قوبل بالإساءة.

وقد نزلت هذه الآية في رجل من قريش يقال له مسطح بن أثاثة، وهو مسكين مهاجر بدريّ، كان بينه وبين أبي بكر الصديق قرابة، وكان يتيماً في حجره، وقد كان ممن أذاع على عائشة ما أذاع، فلما أنزل الله براءتها، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال، فأنزل الله هذه الآية. فقال

[143] سورة النور

Digitized by Google

أبوبكر: (والله إني لأحب أن يغفر الله لي)، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: (لا أنزعها منه أبداً.)

كن بلسماً إن صار دهرك أرقماً وحلاوةً إن صار غيرك علقما
إن الحياة حَبتك كلَّ كنوزِها لا تبخلنَّ على الحياة ببعض ما
أحسنْ وإن لم تُجزَ حتى بالثنا أيُّ الجزاءِ الغيثُ يبغي إن همى؟
مَنْ ذا يكافيء زهرةً فوّاحةً أو من يُثيبُ البلبلَ المترنما؟
ياصاحِ خُذ علم المحبة عنهما إني وجدتُ الحبَّ علماً قيما
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا لولا الشعور الناسُ كانوا كالدمى

يقول الدكتور مصطفى السباعي: (لا تقصِّر في حق إخوانك اعتماداً على محبتهم؛ فإن الحياة أخذ وعطاء، ولا تنتظر من إخوانك أن يبادلوك معروفاً بمعروف؛ فإن التقصير من طبيعة الإنسان، وانتظر من ربك أن يكافئك على الخير خيراً، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟)

Digitized by Google

كان لي صديق شغوف..
بأعمال البر وصنع المعروف

Digitized by Google

كان لي صديق شغوف..
بأعمال البر وصنع المعروف

سوف أحكي لك في هذا الفصل عن بعض من رأيتهم في حياتي عَلَماً ومثالاً في صنع المعروف، إذ المقام لا يتسع لذكرهم جميعاً.

والهدف من هذا الحديث، هو تقديم أمثلة حية للقاريء رأيتها بنفسي، ودليل على أن المعروف لم بنقطع، وشهادة شكر مكتوبة لهؤلاء على ما قدموه.

إن الصحبة والصداقة عاطفة سامية القدر، ونعمة غزيرة المآثر؛ ففي الصداقة ابتهاج القلب عند اللقاء، وطيب النفس حين المحادثة. صحبة تضم مجموعة من الفضلاء، ونخبة من النبلاء، تجد الصداقة فيهم قلوباً طيبة ونفوساً منشرحة، الواحد منهم حامل مسك يهديك إلى الحق، ويَدلك على الخير، لا

Digitized by Google

ترى منه إلا المحامد والمكارم. فيهم البشاشة إذا تراءوا، والمصافحة إذا تلاقوا، تاركين مجاوبة اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللحوح، ومخاصمة اللجوج.

هؤلاء هم إخوان الود والصفاء، والبر والوفاء، لهم من الأخلاق ما يتعطفون به القلوب، ويسترون به العيوب، ويستقيلون به العثرات، ويستدركون به الهفوات.

من ذا الذي يخفى إذا نظرتَ إلى قرينه
وعلى الفتى بطباعه سمتٌ تلوح على جبينه

إن خيرَ الأصحاب لصاحبه، وأنفعَ الجلساءِ لجليسه من كان ذا بِرٍّ وتُقى، ومروءةٍ ونُهى، ومكارم أخلاق، ومحاسن آداب، مع صفاءِ سريرة، ونفسٍ أبية، وهمّةٍ عالية، وتَكْمُل صفاته حين يكونُ من أهل العلم والأدب الفقه والحكمة.

فمن وُفق لصحبة من كانت هذه صفاته وأخلاقه، وتلك شمائله وآدابه، فذلك عُنوان سعادته، وأمارةُ توفيقه، فليستمسك به، ولْيَرعَ له حق الصحبة بالوفاء والصدق معه، ومؤانسته حال سروره، ومواساته حال مصيبته، وإعانته عند ضائقته، والتغاضي عن هفواته، والتغافلِ عن زلاته، إذ السلامةُ من ذلك أمر متعذر في طبع البشر، وحسبُ المرء فضلاً أن تُعد معائبه.

يقول الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى بالمرء نبلاً أن تُعد معايبه
إذا كنتَ في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه

Digitized by Google

فعِش واحداً أو صِل أخاك فإنه مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبُه
إذا أنت لم تشرب مراراً على ظَمئتَ وأيّ الناسِ تصفو مَشاربُه

ويقول آخر:

وكنتُ إذا الصديق أراد غيظي وشرَّقَني على ظمأ بِريقي
غفرتُ ذنوبَه وكظمتُ غيظي مخافةَ أن أعيشَ بلا صديقِ

أما الصداقة الزائفة، والمحبة المبنية على تحصيل المصالح الدنيوية وجلب المنافع العاجلة، فإن الحب فيها مصطنع مزيف، إذا هبّت عليها رياح المصلحة فرقتها ومزقتها؛ لأنها لم تُبن على أساس راسخ ولا أصلٍ ثابت.

على العاقل ألا يُصاحب الكاذب، ولا اللئيم، ولا الخائن الذي يصحبك في الرخاء ويعاديك عند الشدة، ولا متكلف المودة مُتصنعها، ولا قليل الوفاء، ولا الجاهل الذي قد يؤذي صاحبه من حيث لا يدري.

أما النوع الأول فقد قال فيه الشاعر:

مضى كل خلٍ صادقٍ في ولم يبقَ إلا كاذبٌ وملولُ
إذا أقبلت دنياك أقبل مثلها وإن مالت الدنيا عليك يميلُ

Digitized by Google

وأما الثاني فقال فيه:

صافِ الكرامَ فخيرُ من صافيتَهُ مَنْ كان ذا أدبٍ وكان ظريفا
واحذرْ مؤاخاة اللئيم فإنه يُبدي القبيح ويُنكر المعروفا

وأما الثالث فقالوا عنه:

صديق العمر يا لك من صديقِ أراك
أتصحبني على سعة ببحري وتترك
فتهرب من طريق كأني

وقالوا عنه أيضاً:

أخي بيني وبين الدهر صاحب أيّنا غلبا
صديقٌ ما استقام فإن نبا دهرٌ عليّ نبا
وثبتُ على الزمان به فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا لعاد أخاً به حَدِبا

أما النوع الرابع فقالوا فيه:

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفاً فدَعْه ولا تُكثرْ عليه التأسفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جَفا
فما كل مَن تهواهُ يهواك قلبُه ولا كل مَن صافيتَه لك قد صفا

Digitized by Google

إذا لم يكن صفُو الوداد طبيعةٌ فلا خير في وُدٍّ يجيء تكلفا
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها صديقٌ صدوقٌ صادقُ الوعد

أما عن النوع الخامس فقالوا:

لما رأيتُ بني الزمانِ، وما بهم خِلٌّ وفيٌّ للشدائد أصطفي
فعلمتُ أن المستحيل ثلاثةٌ الغول والعنقاء والخِلُّ الوفي

وفي النوع السادس قال الشاعر:

فلا وإيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
فكـ حليمـــاً حين آخـــــــــــاه
وللـ مقـــــــــــــــــــاييسٌ وأشبـــاه
وللـ دليـــل حين يلقـــاه

كان لي صديق شغوف..
بأعمال البر وصنع المعروف
-1-

كان لي صديق أيام الصبا والشباب، هو الآن طبيب لامع في تخصصه، منحه الله موهبةً ومزية لم أجدها في واحد غيره، فقد كان لديه من الذكاء والمهارة بحيث يستطيع إصلاح الأشياء، أياً كانت، سواء كانت أجهزة كهربائية أو أغراضاً خشبية ونحو ذلك، حتى ولو لم يكن له بها سابق عهد، ناهيك عن مهارته في إصلاح السيارات واكتشاف أعطالها. وقد اشتهر بين أصدقائه ومعارفه، وحتى بين أساتذته أيام الجامعة.

كنت أزوره في منزله كثيراً، فأقف معه أمام داره لمدة دقائق، فتأتيه جارتهم العجوز، وقد اتكأت على عصاها، تطلب من أن يصلح لها شيئاً ما،

Digitized by Google

وتناديه صديقة والدته كي يرمم لها طاولة انكسرت أحدى أرجلها، ثم يتلقى اتصالاً هاتفياً من أحد أصدقائه يطلب منه أن يهُبّ لنجدته بعد أن تعطلت سيارته القديمة في مكان ما.

العجيب في الأمر أنه قد وافق على كل هذه الطلبات دفعة واحدة، والأعجب أنه لم يكن متذمراً من أي من هذه الطلبات، بل إنني لم أسمعه أو أراه رفض طلباً لأحد في هذا الخصوص، حتى ليذكّرني بقول الشاعر:

سهل الخليقة لا تُخشى بوادره يزينه اثنان حُسنُ الخلقِ والشيمُ
حمّال أثقال أقوامٍ إذا امتُدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعمُ
ما قال (لا) قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعمُ

وكما كان يتمتع بتلك المهارة الكبيرة في إصلاح الأشياء فإنه كان يتمتع كذلك بحياء لا يقل عنه في عدم رفض أي طلب. العجيب في الأمر أنه لم يكن يتقاضى أجراً عن معظم هذه الأعمال! بل كان يتكلف أحياناً من نفقته في الانتقالات من هنا إلى هناك.

كنت أذهب معه في كثير من تلك المهام التي لا تنتهي، وتعلمت منه الكثير في مجال التصليحات، ولكن شتّان بين من يتعلم حروف الهجاء في الأبجدية وبين أستاذ في كلية اللغة العربية.

كان عنده من الذكاء والموهبة بحيث تكفيه المرة الواحدة، يعاين فيها العامل الماهر في صنعته أثناء عمله، حتى يتمكن من صنعها بنفسه فيما بعد، شريطة أن تتوفر له الأدوات اللازمة. حتى إنه ليذكّرني بقصة ذلك الأمير الذي كان يتمكن من حفظ أي قصيدة تُقرأ عليه لمرة واحدة فقط، فوقف

Digitized by Google

الشعراء وقد أعيتهم الحيلة أن يأتوه بقصيدة جديدة لم يسمع بها من قبل، والسبب بسيط وهو أن الأمير كان يعيد قراءة القصيدة من ذاكرته على صاحبها مرة أخرى، كدليل على أنها فصيدة معروفة قد سمعها مِراراً من قبل! حتى استطاع أحدُهم ذات يوم أن يؤلف قصيدة عصيّة على الحفظ، ليس بغريب الألفاظ والمعاني وحدهما، ولكن لصعوبة موسيقاها الشعرية وتداخل كلماتها، فانكشف السر حينئذ. والقصيدة مشهورة وتسمى (صوت صفير البلبل.)

كان لديه دراجة بخارية (صديقي طبعاً، لا الأمير)، وكثيراً ما كنت رديفه عليها، ننطلق في حاجة أو نزهة، وفي الطريق نجد سيارة متوقفة وقد تعطل محركها، وقد وقف أصحابها بجوارها لا يدرون ماذا يفعلون، يلمحها هو من بعيد، فيتوقف عندها، فيعرض مساعدته بينما يُشمّر عن أكمامه، يحاول إصلاح العطل إذا كان بيّناً، أو يذهب سريعاً بدراجته لإحضار بعض الوقود إذا كان قد نفد منها، أو يستبدل في همة إطارها إذا كان قد أصابه عطب. وفي أثناء ذلك لا يبالي بملابسه إذا اتسخت أو يده إذا جُرحت. لقد كان يؤدي تلك الأعمال بأريحية وتلقائية وشهامة الأعرابي حين يُولم لأضيافه.

الحقُّ أقول لك إنه كان يبدو مسروراً حين يبذل مهارته تلك لمن يعرف ولمن لا يعرف، ثم ينصرف لا يطلب أجراً أو ينتظر شكراً.

ما ذهبت إليه يوماً إلا ووجدته منهمكاً في صنع شيء أو إصلاحه، وكان قد أعدّ ورشة صغيرة في بيتهم، وقد جهزها بكثير من الآلات والأدوات،

Digitized by Google

برغم أنه كان هاوياً تماماً غير محترف، فقد كان ينقصه التفرغ بسبب انشغاله بدراسة الطب التي تستهلك كل الوقت.

أقول لك- وأشهد على ذلك- أني لم ألحظه يوماً متيرماً من سيل الطلبات التي تنهال عليه، فهذا صديقٌ يريده معه كي يعاين سيارة مستعملة، قبل أن يشتريها من صاحبها، وهذا جارٌ يطلب منه في لهفة أن يصلح له عطلاً طارئاً في حمّام منزله، وذاك أحد أساتذته في الجامعة يريده في عجالة أن يصنع له مكتبةً خشبية بمواصفات خاصة، بعد أن ناءت القديمة بحملها من الكتب، وهكذا.. وهكذا.

كنت كثيراً ما أنصحه- على سبيل المزاح- أن يترك دراسة الطب، ويتفرغ تماماً للأعمال اليدوية التي برع فيها، فإنها سوف تُدر عليه ربحاً وفيراً، ثم تبين لي أني كنت مخطئاً، فقد كان لا يتقاضى أجراً على كثير من تلك الأعمال، بل كان يؤديها على سبيل المعروف، ولهذا السبب كان أحياناً ما يستدين مني بعض المال، ولا أذكر الآن إن كان قد سدد لي كل ما أقترضه مني، أم لا يزال لي في ذمته منها شيء.

Digitized by Google

كان لي صديق شغوف..

بأعمال البر وصنع المعروف

-2-

أما صديقي هذا فقد كان من أكثر الذين عرفتهم شهامة ومروءة، هو كذلك طبيب مرموق في تخصصه، من إحدى محافظات مصر، تعرفته حين كنت أعمل في المملكة السعودية.

كان لديه الكثير من المواهب والسجايا الحسنة، فقد كان لديه من الذكاء الاجتماعي الكثير، بحيث يتعرف على الأشخاص في لحظات، ويكسر الحواجز بينه وبينهم في دقائق، ويصادقهم بعد قليل. فقد كان لديه قبول عجيب بين الناس.

Digitized by Google

كانت عنده كذلك فراسة في سبر أغوار من يقابله قلّ ما تخطيء، وكان يُسرّ إليّ في كثير من الأحيان بنظرته تلك على سبيل التحذير، وغالباً ما كان يصدق حدسه.

كان ينفق من وقته الشيء الكثير في قضاء حوائج الناس، فقد كان بكثرة أصدقائه ومعارفه سبباً في تذليل كثير من الصعاب. رنين هاتفه لا ينقطع في الشفاعات والتوصيات وقضاء الحاجات دون كلل أو تذمر.

لديه طاقة اجتماعية جبارة، وذكاءً اجتماعيا رائعاً، كنت أغبطه عليهما، وأشفق عليه منهما، أما الأولى فلأنه قد وضعهما في خدمة الناس لا يبتغي بذلك أجراً، وأما لماذا اشفق عليه؟ فلأنهما قد جلبا عليه حقد الحاقدين وحسد الحاسدين، فقد كان يتمتع بحبٍ وقبول عند كثير من الناس، كما أن قيمة فاتورة هاتفه كان رقماً مخيفاً.

كان جريئاً مقداماً في المواقف الاجتماعية، لا يهاب الدخول على الكبار، متحدثاً لبقاً فى المواقف المختلفة.

هل قرأت كتاب (المنسي) وهو واحد من (مختارات) الكاتب السوداني الكبير (الطيب صالح)؟ أنصحك إذاً بقراءته، إنه كتاب مليء بالطرافة والفائدة، إن فيه يتحدث الكاتب عن أحد أصدقائه المقربين، وكيف كان يتمتع بطاقة اجتماعية هائلة. إن صديقي هذا يشبهه كثيراً.

لم أعهد فيه كثرة صلاة ولا صيام، ولكنه كان يتقرب إلى الله ببذل وقته وجهده وعلمه وجاهه.

Digitized by Google

أما عن بذل العلم، فقد كان أستاذاً بارعاً في الشرح، يجمع حوله الأطباء المتقدمين لاختبار كلية الجراحين الملكية ببريطانيا، فيقف أمامهم بالساعات في طاقة يحسده عليها الكثيرون، فيعطيهم دروساً مجانية في كيفية اجتياز الاختبار. ويتقدمون للاختبار فينجح هؤلاء أو أكثرهم، ثم يأتي غيرهم، وهكذا.

كان يذهب إلى السمّاك كثيراً، وقد كان السمك وجبته المفضّلة، فإذا دخل المكان، وقف العاملون على قدم وساق، فقد كان زبوناً دائماً، بالإضافة إلى أنه كان يعامل البسطاء على أنهم أصدقاؤه، فبرغم وظيفته كطبيب مرموق إلا أنه كان يقف يمازح هذا، و يثني على أداء ذاك في (أكلة) السمك السابقة، ويربت على كتف هذا في مودة صادقة، يشع طاقة إيجابية في أرجاء المكان حتى ينصرف. فإذا وجد سمكا طازجاً بحجم مناسب، أخرج هاتفه المحمول واتصل ببعض أصدقائه وجيرانه، فمن أجاب منهم أخبره أن طعام الغداء سوف يأتيه بعد ساعتين سمكاً مشوياً، فينصرف بعد أن يُوصي بالطلبات، ثم يعود بعد ساعة فيتسلمها ساخنة، فيبدور بها على أصحابها فيعطي كلاً نصيبه منها. لقد فعل ذلك أمامي مراراً وتكراراً، حتى ظننتُ أنه لا يحلّ لإنسان أن يأكل سمكاً وحده أبداً.

Digitized by Google

حِكَم وأقوال..
وعِبَر وأمثال

111

Digitized by Google

حكم وأقوال .. وعبر وأمثال

قد يكون من المفيد- والجديد كذلك- أن نَبْسط بعضاً من الأقوال والأمثال التي وردت على ألسنة حكماء الغرب وهم يتكلمون عن صنع المعروف.

فإذا كانت الحكمة ضالة المؤمن- وهي كذلك حقاً- فهو أحقّ واحد بها حين يجدها.

عجيب حقاً أمر تلك الأخلاق! إن لها من القوة والسيادة الشيء الكثير على كل الأمم والحضارات، وهذا دليل على فطريتها، فهي مشترك إنساني عام من القيم والفضائل، تعترف بها كل المجتمعات في كل الأزمان؛ فالصدق والعدل والإيثار والوفاء والأمانة والإحسان والشجاعة كلها معان محمودة في

Digitized by Google

كل الثقافات. هل سمعت عن أمة في التاريخ كله اعتبرت الكرم مذمّة؟ أو الحلم منقصة؟ أو الصبر رذيلة؟

سوف أعرض لك في هذا الفصل مجموعة من الأقوال والحكم والأمثال كما جاءت على ألسنة أصحابها، منسوبة إلى قائليها، بلغتها الأصلية، ومترجمة إلى العربية، حتى يتبين لك أن صنع المعروف مطلب إنساني عام.

اصنع كل معروف تستطيعه، بكل وسيلة تستطيع، بكل طريقة تستطيع، في كل مكان تستطيع، في كل وقت تستطيع، لكل شخص تستطيع، طالما أمكنك ذلك.

جون ويسلي

أنا أعتقد أن البشر متساوون، وأعتقد أن الواجبات الدينية تتمثل في تحقيق العدل وحب الرحمة، والسعي لجعل زملائنا من المخلوقات سعيدة.

توماس باين

Digitized by Google

المعروف لا يضيع أبداً. فالذي يزرع المجاملة يحصد الصداقة، والذي يزرع العطف يجمع الحب.

سانت باسيل

من يُقْدم على صنع المعروف يجب أن لا يتوقع من الناس أن يميطوا الحجارة من طريقه، عليه أن يتقبل الأمر بهدوء، حتى لو كانوا يضعون بعضها في طريقه.

ألبرت شويتزر

Do all the good you can. By all the means you can. In all the ways you can. In all the places you can. At all the times you can. To all the people you can. As long as ever you can.
John Wesley

I believe in the equality of man; and I believe that religious duties consist in doing justice, loving mercy, and endeavoring to make our fellow creatures happy.
Thomas Paine

Digitized by Google

A good deed is never lost. He who sows courtesy, reaps friendship; he who plants kindness, gathers love.
St. Basil

Anyone who proposes to do good must not expect people to roll stones out of his way, but must accept his lot calmly, even if they roll a few stones upon it.
Albert Schweitzer

اليوم امنح غريباً إحدى ابتساماتك، فقد تكون هي الإشراقة الوحيدة في يومه هذا.

جاكسون براون

خالق الناسَ بخلق حسن، حتى أولئك الذين عاملوك بفظاظة. ليس لأنهم لطفاء ولكن لأنك كذلك.

مؤلف مجهول

إذا كنت تريد الآخرين ليكونوا سعداء، مارس التعاطف. وإذا كنت تريد أن

Digitized by Google

تكون سعيداً، مارس التعاطف.

الدالاي لاما

لا تنتظر من الناس أن يكونوا ودودين، بل أَرِهم كيف يكون ذلك.

مؤلف مجهول

Today, give a stranger one of your smiles. It might be the only sunshine he sees all day.
Jackson Brown

Treat everyone with politeness, even those who are rude to you - not because they are nice, but because you are.
Author Unknown

If you want others to be happy, practice compassion. If you want to be happy, practice compassion.
Dalai Lama

Digitized by Google

Don't wait for people to be friendly, show them how.
Author Unknown

عندما كنت صغيراً، كنت أُعجب بالأذكياء من الناس. اليوم حين كبرت، أصبحت أُعجب باللطفاء منهم.

أبراهام جوشوا هيشل

إذا كان يجب أن نتعامل بالعدل وحده في هذا العالم فلن ينجو أحد. بل من الأفضل أن نكون كرماء، وفي النهاية ستكون هناك ربحية أكثر؛ لأننا سنكسب الامتنان والمحبة.

مارك توين

إلى أي مدى تذهب في الحياة يعتمد على كونك رؤوفاً بالصغار، رحيماً

Digitized by Google

بالكبار، متعاطفاً مع المكافحين، ومتسامحاً مع الضعفاء والأقوياء. لأنه يوما ما في حياتك ستكون كل هؤلاء.

جورج واشنطن كارفر

أن تكون لطيفاً مع كل من تلقاه، يشابه خوض معركة صعبة.

أفلاطون

When I was young, I admired clever people. Now that I am old, I admire kind people.
Abraham Joshua Heschel

If we should deal out justice only, in this world, who would escape? No, it is better to be generous, and in the end more profitable, for it gains gratitude for us, and love.
Mark Twain

How far you go in life depends on your being tender with the young, compassionate with the aged, sympathetic with the striving and tolerant of the weak

Digitized by Google

and strong. Because someday in your life you will have been all of these.
George Washington Carver

Be kind for everyone you meet, is fighting a hard battle.
Plato

يمكن للمرء سداد قرض من الذهب، ولكن المرء يموت إلى الأبد في الديون لأولئك الذين كانوا معه لطفاء.

مثل من الملايو

كثيراً ما نقلل من قوة لمسة، أو ابتسامة، أو كلمة طيبة، أو أُذنٍ صاغية، أو مجاملة صادقة، أو أصغر جهد من الرعاية، مع أن كلاً منها لديه القدرة على تغييرالحياة تًماماً.

ليو بوسكاغليا

إذا أعطيت الكثير من التعاطف، فلن تحتاج إلا للقليل منه.

Digitized by Google

مالكولم فوربس

أتوقع أن أعبر الحياة مرة واحدة فقط، لهذا إن كان هناك أي لطف يمكن أن أظهره، أو معروف يمكنني القيام به لأي كائن فدعوني أفعله الآن، بلا تأجيل أو إهمال، لأنني لن أمر بهذا الطريق مرة أخرى.

وليام بن

One can pay back the loan of gold, but one dies forever in debt to those who are kind.
Malayan Proverb

Too often we underestimate the power of a touch, a smile, a kind word, a listening ear, an honest compliment, or the smallest act of caring, all of which have the potential to turn a life around.
Leo Buscaglia

The more sympathy you give, the less you need.
Malcolm S. Forbes

Digitized by Google

I expect to pass through life but once. If therefore, there be any kindness I can show, or any good thing I can do to any fellow being, let me do it now, and not defer or neglect it, as I shall not pass this way again.
William Penn

لا يوجد أي تأثير غير متناسب أكبر من حجم السعادة التي تأتي من مجرد مجاملة صغيرة.

روبرت برولت

إذا كنت سيداً، فكن أعمى أحياناً حين يكون الخادم أحياناً أصم.

توماس فولر

إذا كان لا يمكننا أن نكون أذكياء، فلا أقلّ من أن نكون لطفاء.

ألفريد فريب

Digitized by Google

أن تعطي ثم لا تشعر أنك قد أعطيت، لهو أفضل سُبل العطاء.

ماكس بيربوم

أعظم متعة أَعلمها هو القيام بصنع معروفٍ في الخفاء، وإذا اكتُشف ذلك يكون من قبيل الصدفة.

تشارلز لامب

There is no effect more disproportionate to its cause than the happiness bestowed by a small compliment.
Robert Brault

If thou are a master, be sometimes blind; if a servant, sometimes deaf.
Thomas Fuller

If we cannot be clever, we can always be kind.
Alfred Fripp

Digitized by Google

To give and then not feel that one has given is the very best of all ways of giving.
Max Beerbohm

The greatest pleasure I know, is to do a good action by stealth, and to have it found out by accident.
Charles Lamb

الأمر الذي حيرني دائما طوال حياتي هو لماذا عندما أكون في حاجة للمساعدة يتم ذلك عادة من قِبل شخص ليس لدي عليه أي مطالبة.

وليام فيذر

إن صنائع المعروف تتدفق من النوايا الحسنة، لكن مجرد النوايا الحسنة لا يبني لنا شيئاً.

غير معروف

الأفعال النبيلة والحمّامات الساخنة هما أفضل علاج للاكتئاب.

دودي سميث

Digitized by Google

صنائع المعروف تسمو بنا، ونحن أبناء أفعالنا.

ميغيل دي سرفانتس

Something that has always puzzled me all my life is why, when I am in special need of help, the good deed is usually done by somebody on whom I have no claim.

William Feather

Good deeds from good intentions flow; but good intentions only; build for us a place below.

Unknown Source

Noble deeds and hot baths are the best cures for depression.

Dodie Smith

Digitized by Google

Good actions ennoble us, and we are the sons of our deeds.
Miguel de Cervantes

إن الملك لا يحميه الجنود ولا الأموال، بل أصدقاؤه الذين ربحهم من صنع المعروف والجدارة والنزاهة.
سالوست

افعل الخير لأصدقائك للحفاظ عليهم، ولأعدائك لتفوز بهم.
بنيامين فرانكلين

مهمة الإنسان الأكثر إجلالاً هي أن يكون فاعلاً للخير.
سوفوكليس

Digitized by Google

حافاظ على الشعور بالحاجة أن تكون الأول. ولكني أريد منك أن تكون الأول في الحب، أن تكون الأول في التفوق الأخلاقي، أن تكون الأول في الكرم.

مارتن لوثر كينغ الإبن

Neither soldiers nor money can defend a king but only friends won by good deeds, merit, and honesty.
Sallust

Do good to your friends to keep them, to your enemies to win them.
Benjamin Franklin

To be doing good deeds is man's most glorious task.
Sophocles

Digitized by Google

Keep feeling the need for being first. But I want you to be the first in love. I want you to be the first in moral excellence. I want you to be the first in generosity.
Martin Luther King, Jr.

احصل على وجهات النظر الصحيحة في الحياة، وتعلم كيف ترى العالم في ضوء الحقيقة، وسوف يتاح لك أن تحيا على نحو دمث، وأن تفعل الخير، وعندما تغادر ستغادر من دون ندم.

روبرت لي

إنّ أصغر معروف أفضل من أروع نية.

مؤلف مجهول

كما تتباعد النجوم فيما بينها، كذلك الأرواح في السماء تتفاوت بأعمالها.

روبرت غرين

Digitized by Google

لا يمكنك أن تعيش يوماً مثالياً حتى تصنع معروفاً لشخص لن يكون قادراً على السداد لك.

جون وودن

Get correct views of life, and learn to see the world in its true light. It will enable you to live pleasantly, to do good, and, when summoned away, to leave without regret.

Robert E. Lee

The smallest good deed is better than the grandest intention.

Author Unknown

For as one star another far exceeds, So souls in heaven are placed by their deeds.

Robert Greene

Digitized by Google

You can't live a perfect day without doing something for someone who will never be able to repay you.
John Wooden

أن تكون على ما يرام هو نتيجة لفعل الخير. هذا هو كل شيء عن الرأسمالية.
رالف والدو إمرسون

لأنك لا تستطيع فعل الخير للجميع، عليك إذاً أن تهتم بأولئك الذين تَصادف وجودهم معك في الزمان أو المكان أو الظروف.
اوغسطينوس

الكلمة الطيبة تشبه يوماً من أيام الربيع.
مَثل روسي

Digitized by Google

المودة تشبه كرة المطاط؛ دائماً ترتد.

مؤلف مجهول

الكرم الحقيقي هو فعل شيء لطيف لشخص لن يكتشف ذلك.

فرانك كلارك

Doing well is the result of doing good. That's what capitalism is all about.
Ralph Waldo Emerson

Since you cannot do good to all, you are to pay special attention to those who, by the accidents of time, or place, or circumstances, are brought into closer connection with you.
Augustine of Hippo

A kind word is like a Spring day.
Russian Proverb

Digitized by Google

Kindness, like a boomerang, always returns.
Author Unknown

Real generosity is doing something nice for someone who will never find out.
Frank A. Clark

عن طريق ابتلاع كلمات الشر التي لم تُقل ، فإن أحداً لن يؤذي معدته.

ونستون تشرشل

الحياة قصيرة، ولكن يوجد دائما وقت للمجاملة.

رالف والدو إمرسون

المعنى الحقيقي للحياة هو أن تزرع أشجاراً لا تتوقع أن تجلس تحت ظلها يوماً.

نيلسون هندرسون

Digitized by Google

إلى أي مدى تُلقي تلك الشمعة الصغيرة بحزم ضوئها. كذلك يضيء المعروف في عالم شرير.

وليام شكسبير من مسرحية (تاجر البندقية)

إن ألف كلمة لا تترك انطباعا عميقاً كالذي يفعله معروف واحد.

هنريك إبسن

By swallowing evil words unsaid, no one has ever harmed his stomach.
Winston Churchill

Life is short but there is always time for courtesy.
Ralph Waldo Emerson

The true meaning of life is to plant trees, under whose shade you do not expect to sit.
Nelson Henderson

Digitized by Google

How far that little candle throws his beams!
So shines a good deed in a naughty world.
***William Shakespeare**, Merchant of Venice*

A thousand words will not leave so deep an impression as one deed.
Henrik Ibsen

اعتبارا من اليوم، عامِلْ كل من تلقاه كما لو كان سيموت في منتصف الليل؛ مُدّ لهم كل ما يمكنك من الرعاية والعطف والتفاهم، افعل ذلك دون أن تفكر في أي مكافأة، حينها لن تكون حياتك كالسابق أبداً.

أوج ماندينو

الأحياء فقط هم أولئك الذين يصنعون الخير.

ليو تولستوي

يصبح المال ذا قيمة إذا أعان الإنسان على صنع الخير للآخرين، وإلا فإنه

Digitized by Google

ببساطة كتلة من الشر، وكلما تخلّص منه أسرع كلما كان أفضل.

سوامي فيفكانادا

نحن هنا على الأرض لفعل الخير للآخرين، لأي شيء الآخرون هنا؟ لا أدري!

ويستن أودن

Beginning today, treat everyone you meet as if they were going to be dead by midnight. Extend to them all the care, kindness and understanding you can muster, and do it with no thought of any reward. Your life will never be the same again.
Og Mandino

Only those live who do good
Leo Tolstoy

Digitized by Google

If money help a man to do good to others, it is of some value; but if not, it is simply a mass of evil, and the sooner it is got rid of, the better.
Swami Vivekananda

We are here on Earth to do good to others. What the others are here for, I don't know.
Wystan H. Auden

Digitized by Google